منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1642) السنة السابعة - السبت (31) تشرين الاول 2009

3
الافغاني في بغداد

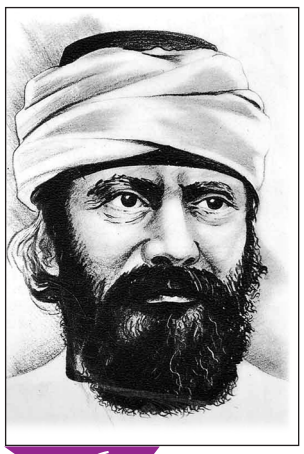

6
الافغاني والاتجاهات الحديثة في التفسير

8
بماذا تحدث الزهاوي عن الأفغاني؟

لا اريد، بهذا البحث، ان ادور مع السيد جمال الدين في حياته العريضة المخصاب، او في خواطره وفلسفته، او في رحيله الى ربه الكريم، ولا اريد، فوق ذلك، ان اؤكد ريادته في حركة التجديد الديني، ومناهضة الاستعمار، والدعوة الى التطور التكنولوجي في مواجهة اوروبا، وتحريض الشعور الوطني على تحقيق النظم الدستورية، ولا اريد، اخيرا، ان اقول ما قيل وما سوف يقال عن كفاحه السياسي الذي ترامى، جغرافيا، على الوطن العربي وايران والهند وافغانستان وتركيا والغرب الاوروبي،

جمال الدين الافغاني

عبدالحميد العلوجي

انما الذي اريده هو توثيق ارتباطه بالعراق، واضاءة ما يكاد يجهله اغلب المؤرخين من ابعاد هذا الارتباط.

اننا جميعا ندرك ان السيد جمال الدين هبط العراق ثلاث مرات: مرتين في حياته (اولاهما موضع شك) ومرة واحدة بعد خمس واربعين سنة من وفاته، وعلى هذه الزيارات الطارئة سأعقد مضمون هذا البحث.

لقد شخص السيد الافغاني الى العراق، لاول مرة، بصحبة ابيه السيد صفدر لزيارة العتبات المقدسة، واستقرا في مدينة النجف مدة من الزمن خلال سنة ١٨٤٩..

والواقع ان هذه الزيارة لم يشر اليها احد من المؤرخين عربا ومستشرقين (فضلا عن عدم وجود اية اشارة اليها في مؤلفات ومقالات السيد جمال الدين نفسه، والشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا).. وانما انفرد بها المؤرخ السيد محسن الامين العاملي، والاديب عبدالكريم الدجيلي (وممن يؤيد هذه الزيارة: الشيخ اغابزرك، والدكتور حسين علي محفوظ، والدكتور علي الوردي، (العراق) ومحمد طاهر الجلاوي (من مصر) وقدري قلعجي (من لبنان) ولكني قانع بأن مظنه هذا التأييد لم تجاوز الاقاويل التي نثرها لطف الله خان في كتابه المعروف الذي سيأتي ذكره) وانا اميل الى ان الدجيلي اعتمد، كليا، في روايته، على السيد العاملي وان لم يصرح بذلك، كما اميل الى ان السيد العاملي لم يستق روايته الا من اساطير الميرزا لطف الله خان وكان هذا الرجل يزعم انه ابن اخت السيد جمال الدين وقد اودع اساطيره باللغة الفارسية في كتابه (جمال الدين الاسد بادي) ويعتبر هذا الكتاب سيرة للسيد الافغاني،، وهذا يبيح لي ان اعتبر هذه الزيارة خبرا مهزوزا لا يدعمه واقع، ومن هنا صعوبة التسليم بها او اعتمادها لازمة تاريخية في حياة السيد جمال الدين وانني حين ذكرتها كزيارة اولى، فلأجل ان اسجل عليها ما تستحق من تحفظ وحذر وشك في مواجهة المنزع الموضوعي.

وقد حملني هذا الموقف على ان اجتاز جميع التفاصيل المتعلقة بهذه الزيارة غير المقطوع بها.. دونما شعور بأي اثم.. في حين ان الزيارة الثانية استقرت على وجود السيد جمال الدين في العراق منفيا، فقد شوهد في خانقين وبغداد والكاظمية والبصرة خلال سنة ١٩١٨، وكان العراق –حينئذ– مثقلا بالاحتلال الاجنبي، وهدفا للكوارث الطبيعية، وكان ولاته الحاكمون لا شاغل لهم سوى جباية الضرائب.. بينما كانت الدماء البريئة تهدر بلا حساب، والكرامات تجرح بقسوة، يضاف الى ذلك ان ضمائر المتسلطين كانت تتمتع باجازة طويلة شجعت اللصوص وقطاع الطرق على انتهاب الاموال، والولوغ في الاعراض، وتهديد السلامة العامة.

وكان هذا هو الواقع الذي ساد العراق يوم هبط السيد الافغاني خانقين، لقد اقتاده فرسان ناصر الدين شاه حتى الحدود العراقية حيث تسلمته منهم الشرطة العثمانية في مدينة خانقين التي تقع في الشمال الشرقي من مدينة بغداد على مسافة مئة وتسعة وخمسين كيلو مترا منها، وكان السيد جمال الدين، يومئذ، ينتفض من الحمى، ونحن لا نستبعد ايداعه في محطة الحجر الصحي تمهيدا لتسفيره الى بغداد.

لقد قضى في خانقين ردحا يسيرا من الوقت لم يتسن له فيه الاتصال بأيما شخص من اهلها الذين كانوا يبلغون اقل من خمسة الاف نسمة، ولم تتهيأ له اقامة الصلاة في اي مسجد من مساجدها الستة التي كانت قائمة يومذا، انه ظل طريح الفراش هناك، تنهشه الذكريات المريرة التي عاناها بعد ان انتزعه (اغا بلاخان سردار) صنيعة الشاه عنوة من مرقد الشاه عبدالعظيم في ضواحي طهران، ونقله على محفة خشنة مكبلا بالحديد – تحت وطأة البرد والثلوج– الى خانقين، ولقد رآه الناس، يومذاك، يتوجع من المرض، ويئن من الحمى، ويتوعد الذين اهانوه بالويل والثبور،، ورأوه غاضبا يتلظى وجهه بالدم، وتهزه الرغبة في الانتقام.

ولم يبق في خانقين طويلا.. اذ سرعان ما رحل به الجندرمة الى بغداد، وفي هذه المدينة اخذت العافية تدب في اوصاله بالروية، وقد دخلها في وقت طغت خلاله مياه نهر دجلة، وباتت تهدد المدينة بالغرق، وآثر السيد جمال الدين ان يجعل سكناه في خان الدفتر دار على ضفة النهر في جانب الرصافة (في شارع المستنصر بالذات)، وكان هذا الخان، يومئذ، في عهدة دائرة الاوقاف (ولم يبق لهذا الخان وجود في الوقت الحاضر) وكان الزوار من وجهاء الناس يفضلون الثواء فيه بعيدا عن الاضواء، والمعروف ان بغداد يوم حل فيها السيد جمال الدين كانت محكومة بسلطة الوالي العثماني محمد سري باشا بن صالح الكريتي، وقد اشتهر هذا الحاكم بميله الى تزيين بغداد بمختلف انواع الزينة، كما اشتهر بميله للاداب والعلوم الاسلامية، وهو الذي وضع باللغة التركية كتابه (احسن القصص) في تفسير سورة يوسف.

وقد روي عن الفقيه البغدادي المرحوم الشيخ شكر الله قوله: ان السيد جمال الدين حين نزل في خان الدفتر دار تهافت الناس عليه من كل حدب وصوب، وان الوالي محمد سري باشا اجتمع به وسأله عن مذهبه،، ولكن السيد جمال الدين اعرض عنه، ولم يعره التفاتا فأحرج الوالي، وظهرت علائم الخجل على وجهه.

وقد حفز هذا الموقف محمد سري باشا على ملاحقة السيد جمال الدين، وتضييق الخناق عليه، ووكل به من يحصي عليه اقواله واعماله،، بل جاوز ذلك الى مطاردة اصدقائه والذين اكرموا وفادته.

ومن الوقائع التي مايزال بعض المعمرين في بغداد يروونها عن السيد جمال الدين اثناء مكوثه في خان الدفتر دار ان احد الفضلاء من علماء بغداد حين سمع بقدوم السيد جمال الدين ذهب بصحبة عدد من طلبة العلم الى ذلك الخان لزيارته، وقدم لهم الشاي بيده، فامتنع احدهم (وهو المرحوم السيد شهاب الهيتي ويرى بعض المؤرخين انه الشاعر عمر رمضان الهيتي) عن تناول الشاي، فقال له السيد جمال الدين (لماذا لا تشرب)؟ فأجابه الهيتي: لا استطيع، فلما اصرّ السيد جمال الدين على الشرب.. قال الهيتي: اني صائم، وعندئذ قال له السيد جمال الدين: عجبا!. اما يكفيك شهر رمضان؟

الافغاني في بغداد

محمد مهدي البصير

ان هذه الوقائع تشير، بصورة اكيدة، الى نزول السيد جمال الدين في خان الدفتر دار اثناء وجوده في بغداد.. ولكن بعض مؤرخينا يؤكدون انه سكن، بعض الوقت، في خان عبدالصمد الاصفهاني ببغداد (وكان هذا الخان يقابل خان مرجان، في مكان قريب من البنك المركزي العراقي، وان المرحوم السيد سلمان الكيلاني (نقيب الاشراف) قد انزله ايضا في داره كأعز ضيف، وكانت للسيد الافغاني بنقيب بغداد علاقة ودّ يدعمها الاحترام.. فقد اعتاد – وهو في باريس– ان يرسل الى النقيب ما يصدر من مجلة (العروة الوثقى) اولا بأول.

والسيد الافغاني، بعد ذلك، وخلال وجوده في بغداد، لم يقم ايّ وزن لمضايقات محمد سري باشا.. بل انه – بمعزل عن جواسيسه– اخذ يعد العدة لمناوأة ناصر الدين شاه، ولم يجد خيرا من الرواية اللصوصية التي الفها الكاتب الدبلوماسي الانكليزي جيمس جوستنيان موريه ونشرها سنة ١٨٢٤ بعنوان (مغامرات حاجي بابا الاصفهاني) وكانت هذه الرواية تعبر عن سخرية البرجوازيين الاوربيين بالشعب الايراني، وتفضح ما كانت عليه ايران عهد ذاك من جهل وتأخر، ومن هنا سر اهتمام السيد جمال الدين بها، اذ افلح – وهو في بغداد– في الحصول على نسخة منها، ثم اوعز الى احد اتباعه بترجمتها الى اللغة الفارسية تمهيدا لتهريبها الى ايران ووضعها في متناول الشباب هناك ليدركوا واقعهم المتخلف الذي كانت تعيشه بلادهم.

وفعلا تمت في بغداد ترجمة هذه الرواية، واحتفظ السيد جمال الدين بعدد من نسخها عازما على حملها معه يوم يسافر الى البصرة حيث سيقوم بتهريبها عبر الحدود الى ايران.

والذي نعرفه ايضا من حياة السيد جمال الدين في بغداد.. انه اولا وقع على رسالة مخطوطة تتعلق بالكيمياء القديمة، فكتب نسخة عنها بقلمه، وانه ثانيا غادر بغداد الى بلدة الكاظمية، واقام بها عدة ايام في دار ملا احمد بن محمد اليزدي الواقعة في محل التل، القريبة من مسجد الكاظمين، وكانت هذه المحلة موئلا للعلم والعلماء منذ عهد بعيد، وقد اتصل بالسيد جمال الدين في هذه الدار جماعة من مثقفي الكاظمية كان من بينهم علي اوف، وعلي مطلب، وعلي الاهرابي، وقد انتموا باشرافه وارشاده بحلقة سرية اعتادت ان تعقد اجتماعاتها في سرداب تحت الدار واتيح لرواد هذه الحلقة ان يدعوا الى الاصلاح وتأسيس المدارس، وكانت اول مدرسة فتحوها للناس هي الاخوة في الكاظمية.

والجدير بالذكر، هنا، هو ان دار ملا احمد التي اتخذها السيد جمال الدين ملاذا له في الكاظمية،، كانت تناخم دار عائلة الشاعر العراقي المرحوم عبدالمحسن الكاظمي، وقد ادى هذا الجوار الى وقوف الشاعر الكاظمي على دعوة السيد جمال الدين وجماعته، وما تهدف اليه من صلاح فأيدها واعجب بها، وقد قال عن نفسه– فيما بعد– انه التقى بالسيد جمال الدين، وحفي به، وناصره.. وكان الكاظمي –آنئذ– شابا في العشرين من عمره.

وحين بالغ الوالي محمد سري باشا في مضايقة السيد جمال الدين، عزم على الرحيل الى البصرة، فارتحل، ومكث فيها اياما استرد خلالها صحته..

وهنا يشير عدد من المؤرخين الى ان السيد جمال الدين فضل الاقامة في دار عبدالوهاب افندي (مفتي البصرة)، وانه كان يتردد في منطقة العشار على بيت رجل (نجهل اسمه) كان والد السيد توفيق الهداني، ويتناول عنده الكليجة، والثابت هو ان هدايت باشا (والي البصرة يومذاك)– وكان تقيا صالحا– احتفل بالسيد جمال الدين واكرمه، وهذا الوالي هو الذي كلف الشيخ عبدالرحمن الرافعي الطرابلسي (قاضي البصرة في ذلك الوقت) بسؤال السيد جمال الدين عن جنسيته تنفيذا لرغبة (المابين) في استانبول.. فما كان من السيد جمال الدين الا ان اعلن افغانيته واعتزازه بافغانستان..

وشوهد السيد جمال الدين في البصرة يصلي في مسجدها الجامع، وقد اهشه جهل الخطيب بقواعد اللغة العربية، وجهله بالوعظ الثوري، وقد ذكر السيد جمال الدين ، بعدئذ، في اوراقه ما شاهد في هذا المسجد، بقوله، (خرجت من صلاة الجمعة في المسجد الجامع بالبصرة، وفي نفسي حسرة ان اسمع الخطيب اعرب ولو كلمة واحدة في خطبة مكتوبة في يده، فترحمت على سيبويه، وعلمت ان كتابه البحر هو الذي اغرق البصريين والكوفيين، فغاص الاعراب معهم الى القعر، هذا من حيث الاعراب، واما من حيث المعنى فإلى الله المشتكى!..

ان منبر الخطبة في المساجد الجامعة شيده المصطفى صلى الله عليه وسلم ليرتفع منه صوت التعليم للمسلمين، ولايقاظ وتحريك الهمة، والحث على جمع الكلمة وما فيه من سعادة الدارين.. يصير الى ما صار اليه اليوم.. وعلى منابر البصرة والكوفة! ارتقى مثل امير المؤمنين علي بن ابي طالب وغيره من أكابر الصحافة والتابعين.. بحور البلاغة، وفحول الفصاحة وحسن البيان، يرتقي ذلك المنبر اليوم اجهل الاعراب والعجم، ويخطب الناس وقد ركبوا بعضهم احتشادا، وغص بهم فناء الجامع على رحبه، ولا تكون الخطبة الا ان (الورد اللطيف فتح من عرقه الشريف).. وهكذا اكثر خطباء المنابر في الامصار، فلا حول ولاقوة الا بالله..

وفي البصرة لم يكتف السيد جمال الدين بتهريب النسخ العديدة من الترجمة الفارسية لمغامرات حاجي بابا الاصفهاني عبر الحدود الى ايران، وانما كتب ايضا رسالة طويلة الى المجتهد الديني العراقي السيد محمد حسن بن محمود النجفي الشيرازي يحرضه فيه على اصدار فتواه بتجريم الامتيازات الاجنبية التي منحها ناصر الدين شاه للشركات الاجنبية، وقد حمل الرسالة صديقه السيد علي اكبر الشيرازي (وكان احد المجتهدين في ايران) الى مدينة سامراء حيث يقيم المجتهد الاكبر، وعندما اطلع عليها (وكان ذلك في اواخر شهر تموز ١٨٩١) ابرق الى الشاه طالبا منه الغاء الانفاق الخاص بالتنباك (وهو نوع من التبغ يستعمل في النراجيل) ويبدو ان ناصر الدين اهمل هذا الطلب، ولذلك لم يبق امام السيد المجتهد سوى اصدار فتواه المعروفة بتحريم التنباك، وقد اصدرها فعلا، ومما جاء فيها (استعمال التنباك والتتن حرام بأي شكل من الاشكال).. وقد اقضت هذه الفتوى مضجع الشاه وقهرته على الغاء الامتياز الانكليزي الخاص بهذه المادة الدخانية..

وبعد ان انجز السيد جمال الدين هذه المهمة الخطيرة اعلن عزمه على الرحيل، وعلم البصريون انه لم يكن يملك من النقود ما يذلل به رحلته الصعبة، فجمعوا له (٥٠٠) ليرة ذهبية (٥٠ منها هدية من الوالي هدايت باشا، و ١٥٠ من نقيب الاشراف، و ٣٠٠ من اعيان البلدة) وكانت معقد رضاه وشكره، رغم مواقف الرفض التي اعتادها في مواجهة الهدايا، وبهذا المبلغ من النقد غادر البصرة الى البحرين، ومن هناك اخذ طريقه الى انكلترا، وقد سجل الرجل – بهذا الرحيل – آخر عهد له بالعراق، ولم يعد اليه، بعد ذلك، الا رفاتا داخل نعش، وهو في طريقه الى افغانستان حيث مثواه الاخير في مدخل جامعة كابل..

مجلة المورد ١٩٨١

ان منبر الخطبة في المساجد الجامعة شيده المصطفى صلى الله عليه وسلم ليرتفع منه صوت التعليم للمسلمين، ولايقاظ وتحريك الهمة، والحث على جمع الكلمة وما فيه من سعادة الدارين

مر المصلح الكبير المرحوم جمال الدين الافغاني ببغداد قبل ستين سنة تقريبا، وكان عليها اذ ذاك وال يعد نفسه من العلماء، ويعده الناس كذلك من العلماء، وهو سري باشا صاحب التفسير المعروف (بأحسن القصص) فكان لجمال الدين على الباشا حق العالم وحق الضيف على المضيف ولكنه لم يحفظ له حق العالم ولا حق الضيف ولا حق الانسان، وانما اخذ يلاحقه ويضايقه ويحصي عليه اقواله واعماله، وحركاته وسكناته، بل انه تعدى ذلك الى مطاردة اصدقائه واودائه الذين عرفوا فضله فأكرموا وفادته وادوا اليه بعض حقه فضاق المصلح الكبير ذرعا بهذه المعاملة السيئة وترك بغداد على جناح السرعة وفي قلبه حسرة وفي نفسه الم، وطبيعي ان سري باشا انما فعل ذلك حرصا على وظيفته وطمعا في المزيد من رضاء مولاه السلطان عبدالحميد الذي كان يلذ له ان يبطش ما وسعه البطش بكل مفكر حرٍّ يرى ان الانسان خلق حراً ويجب ان يعيش حرا، ويدين بأن الحكام اجراء الشعوب وانه حرام عليهم ان يؤثروا منافعهم على منافع رعاياهم، وان يقدموا مصالحهم على مصالح شعوبهم، وانهم ان فعلوا ذلك فقد عصوا ربهم وخانوا واجبهم وجنوا على الحق والعدل جناية لاتغتفر.

وقد ضرب الدهر ضربته ودار الزمان دورته، فاختفى شبح السلطان عبدالحميد الى الابد ولم يبق من ملكه وجبروته واستبداده سوى ذكريات سيئة يسطرها التاريخ في شيء غير قليل من المقت والاشمئزاز، بل صارت دولة آل عثمان كلها خبرا من الاخبار.

ومر السيد جمال الدين الافغاني ببغداد مرة اخرى فخرج رجال الحكم وارباب الحول والطول يستقبلونه في المحطة استقبالا فخما ويحيونه تحية الاعجاب والاكبار، ثم احتفلوا به احتفالا رسميا رائعا فألقيت في حضرته الخطب وانشدت القصائد معددة مآثره، ممجدة مفاخره مقدرة كل التقدير حسن بلائه وصدق جهاده في سبيل اقامة العدل ونشر الاصلاح، ورفع منار الحرية.

وهكذا ينصر الحق ويهزم الباطل ويوفي المجاهدون الصابرون جزاء صبرهم وثواب جهادهم وان لم يطلبوا جزاء على صبر او ثوابا على جهاد، ولكن الله لايضيع اجر من احسن عملا..

جريدة الرأي العام ١٩٤٥

وثائق تكشف تواقيع الافغاني في رسائله

زين النقشبندي

يعتبر جمال الدين الافغاني اكبر رائد ثوري ظهر في المشرق العربي وكانت لارائه التي كان ينشرها في مجلة العروة الوثقى تأثير كبير في الكثير من مثقفي العالمين العربي والاسلامي والتي انتشرت كالنار في الهشيم وخاصة في تركيا وايران والهند ومصر والعراق وباقي الدول والاقطار.

وقد كتب والف ونشر عن السيد الافغاني الكثير من الكتب والدراسات للعديد من المؤلفين من عرب وعجم ومستشرقين نذكر منهم سيد محمد رشيد رضا والشيخ عبدالقادر المغربي والاستاذ قدري القلعجي والسيد محسن امين العاملي والسيد اصغر مهدوي والسيد ايراج افشار ومحمد طاهر الجبلاوي المصري والدكتور محسن عبدالحميد والمرزا لطف الله خان والاستاذ المفكر مسعود محمد والدكتور علي الوردي في لمحاته الاجتماعية والدكتور حسين علي محفوظ اضافة الى العديد من الاساتذة الذين كتبوا عنه من العراقيين الدراسات والمقالات نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كذلك الاستاذ محمد بهجت الاثري والاستاذ عبدالكريم الدجيلي والاستاذ عبدالقادر البراك والاستاذ عبدالحميد العلوجي والاستاذ صادق الجميلي، والاستاذ رفعت عبدالرزاق محمد، وقد اشار او تحدث اغلب السادة الذين تم الاشارة اليهم آنفا عن زيارة الافغاني للعراق سنة ١٨٩٠م ايام ولاية الوالي سري باشا وقد عرف واشتهر عن هذا الوالي العثماني عنه تشجيعه للآداب والعلوم وحبه ورعايته للعلماء كونه كان شاعر واديبا ومؤرخا وما قيل في حقه حين نقله من ولاية بغداد بعد المدة القصيرة التي قضاها فيها (ثمانية عشر شهرا) وعلى الرغم من قصر هذه المدة فقد ترك اثرا كبيرا لدى البغداديين، وما ذكر عنه بخصوص الافغاني انه كان قد زاره واتصل به وانه كان يتغاضى عن تحركاته واتصالاته برجال العلم والسياسة خاصة بمدينة بغداد والكاظمية وكما هو معروف فان للوثيقة الدور المهم والفيصل القاطع في تأكيد الكثير من الوقائع وقد اطلعنا مؤخرا على الكثير من الوثائق والصور والرسائل ضمن كتاب عن السيد الافغاني، من اصدار جامعة طهران لمؤلفيه اصغر مهدوي وايراج افشار ننشر في هذه المقالة مجموعة منها تبين اهم التواقيع والاسماء التي كان الافغاني قد استعملها في رسائله وهي:

١-جمال.
٢-جمال الدين.
٣-جمال الدين الاستنبولي.
٤-جمال الدين الاسد ابادي.
٥-جمال الدين الحسيني.
٦-جمال الدين الحسيني (عبدالله بن عبدالله).
٧-جمال الدين الحسيني الاستنبولي (عبدالله).
٨-جمال الدين الحسيني الافغاني الكابلي.
٩-جمال الدين الحسيني الافغاني.
١٠-جمال الدين الحسيني الرومي.
١١-جمال الدين الحسيني الطوسي.
١٢-جمال الدين الحسيني الكابلي.

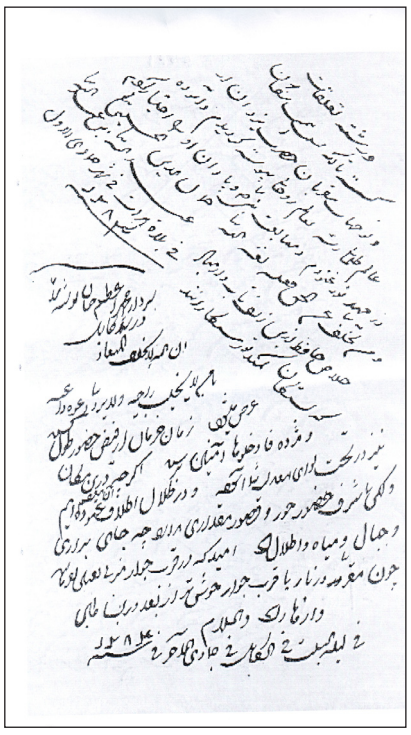

١٣-جمال الدين السعد ابادي.
١٤-رومي (تخلص) اي معناها – المتخلص بالرومي-.

وكذلك تحتوي هذه المجموعة على رسالة مهمة كتبت ببغداد في باب الاغا عقد الصفافير (كذا ورد) وهي الدليل للذين يشككون بزيارة الافغاني للعراق وخاصة بغداد وسوف نقوم بمناسبات اخرى بنشر مواد وثائقية اخرى تتعلق بالافغاني هذه الشخصية المهمة القيادية التي كان لها تاثير كبير في الكثير من العرب والمسلمين وما زالت بما كانت تمتلكه من قدرة نحو الاصلاح وموهبة وخصائص قل نظيرها في الكثير من الرجال تركت آثارا وغيرت في الكثير من بلدان العالم العربي والاسلامي.

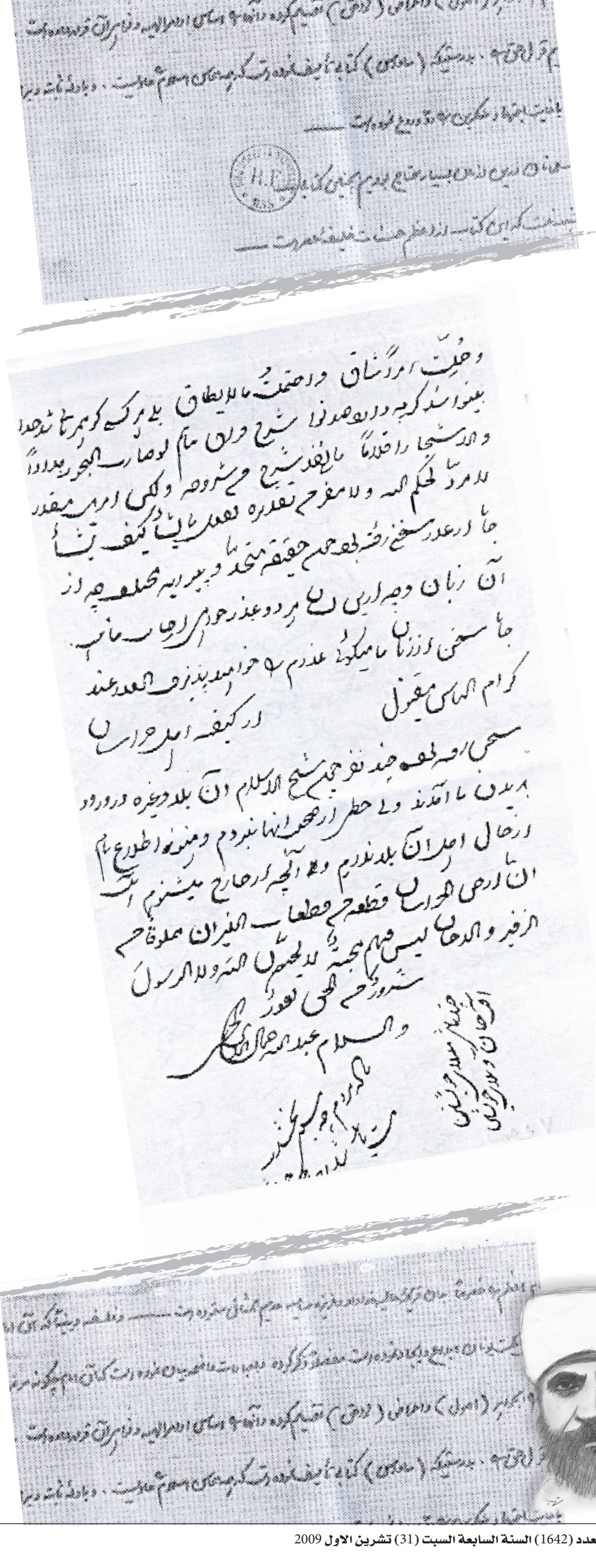

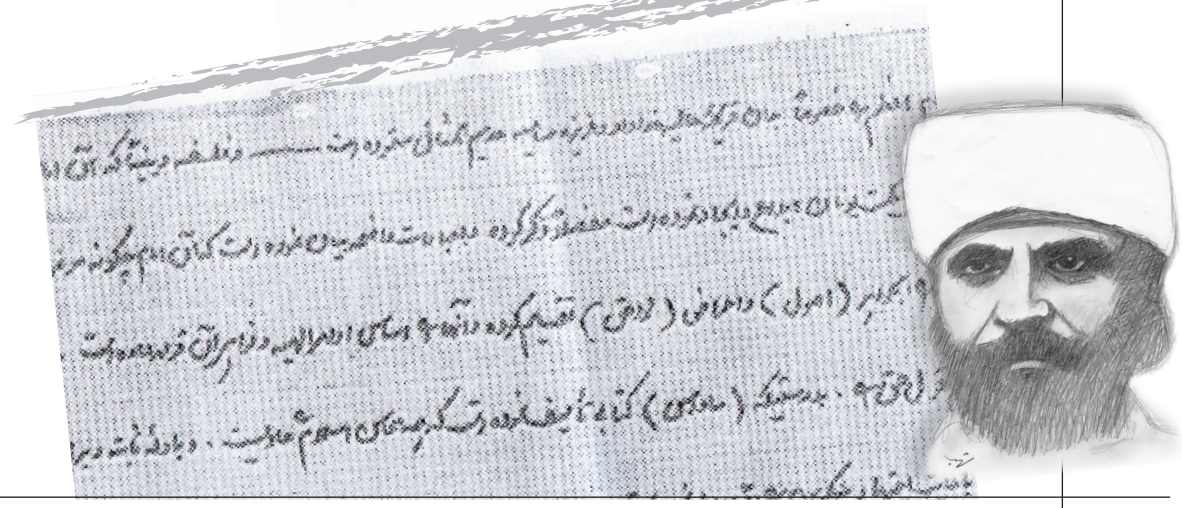

قبل اكثر من نصف قرن دبت فوق اديم العراق كتلة من الاعصاب الحساسة قادمة من الافغان فالهند في طريقها الى ارجاء العالم الاسلامي.
وكانت هذه الاعصاب بدرجة من حرارة الامان وقوة العزيمة بحيث تلهب اعصاب الغير وتمنحه طاقة ما كان يحسها في اعصابه او يعهدها في دماغه، ومن اجل ذلك حارب الطغاة هذه (الشحنة الكهربائية) بالرغم من ان هذا الجهاز العصبي لايملكه غير رجل اسمر شجاع حديد المزاج.
لايملك من حطام الدنيا سوى دماغ انعشته هذه الاعصاب المرهفة، وسوى بدلة اسلامية واحدة تستر جسده النحيف ولايملك من المال البراق غير بريق عينيه.

طبيب وبستاني

خالد الدرة

(١)

وبالرغم ان الطغاة والحساد والمتزمتين قد بذلوا كل جهودهم للحيلولة دون تسرب قواه الروحية الى اذهان الشرقيين المتضعفين فان هذه القوى الجبارة قد تسربت فعلا الى كثير منهم وفعلت فعلها في انهاض شعوبهم، ولاتزال هذه القوى تتسرب الى الاعصاب والاذهان حتى يبلغ الشرقيون الكمال من النهوض والسؤدد كما كان يريده لهم هذا المتصوف العظيم، ويكفيه فخرا انه انجب امثال الامام محمد عبده وعبدالله نديم وقاسم امين ومصطفى كمال واحمد فريد وسعد زغلول وعبد المحسن الكاظمي وابراهيم الهلباوي وغيرهم من عظماء الرجال في الافغان والهند وتركيا وايران.

واليوم نسمع بأن هذه الكتلة العصبية الطاهرة ستمر عبر اديم العراق وهي لا تمشي على الارض كعادتها ولكنها محملة على الاكتاف مشيعة بالقلوب مودعة بالدموع.

ليس بمستطاع احد اليوم ان يحول دون مرور هذه الشعلة المقدسة فقد اندثر عهد الطغاة بجهوده الرائعة، ولابمقدور الحساد ان يناوئون على ما اصابه من حظوة فقد صار في ذمة التاريخ، ولا يمكن المتزمتون ان يصدوا تيار افكاره الحرة الجارفة فقد اضعفت روحه من قواهم وشلت من ارادتهم ولم تعد لهم قيمة في الوجود وهذا نفس ما قصد اليه السيد الافغاني الجليل يوم ناوأهم.

نعم ليس بمقدور كل هؤلاء واشباههم ان يحولوا دون مرور هذه (الشعلة) او ان يقللوا من سطوعها فقد تسرب نورها الى اذهان رجال الشرق، وحرارتها الى اعصابهم وكرامتها الى دمائهم، وسيزداد هذا النور سطوعا والحرارة لهبا والكرامة فورانا ما ازدادت حرمة هذا الافغاني في الشرق حتى نبلغ شأو الغرب.

هذا هو السيد جمال الدين الافغاني الذي خصص جهاز دماغه لتشخيص داء الشرقيين وتحري دوائهم وهو القائل بعد ان فحص مريضه: (وجدت اقتل ادواء الشرق انقسام اهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف)..

هذا بعض ما وجده طبيب الشرق العظيم في جسد مريضه، فسعى الى استضحار الادوية وكانت (الصيدلية) في ركن من اركان قلبه الكريم ينيرها وميض من دماغه العظيم، وعمالها مرهفات من اعصابه الدقيقة الحساسة.

فانبرى طيلة حياته دائبا على توحيد كلمة الشرقيين متنقلا من اصلاح عضو الى آخر ففي ايران ينيرهم على الطغاة وفي الهند يوحدهم على الكلمة وفي العراق يعزز الاداب ولكنه لاينسى ايران بل يعمد الى جلب نسخة من كتاب (علي بابا) من تأليف جيمس موريو ويوعز الى احد اتباعه بترجمته الى اللغة الفارسية ثم يسافر الى البصرة لتهريب النسخ الممنوعة الى قلب ايران ليتداولها الناشئة ويعرفوا ماهم عليه من جهل ويدركوا سر سخرية الغرب منهم وهكذا يمهد لاصلاحهم وفي سوريا يخطب من اجل مصر وفي القاهرة يؤنب الخليفة وفي الاستانة يسعى من اجل البيئة الاسلامية كلها ويراسل من يرى فيه القدرة على الاصلاح.

دأب هذا العبقري الانساني يخطب في مساجد المسلمين لينبههم الى الخطر المحدق بهم ويكتب في صحفهم ومجلاتهم ويشغل مطابعهم ليهيب بهم الى الاتحاد ويعالج الصحافة في باريس على (العروة الوثقى) فخطى بأن يكون له اثر بالغ في النزعات الشورى التي حدثت في عشرات السنين الاخيرة في الحكومات الاسلامية ونال اطمئنانا بان كثيرا من الممالك الاسلامية ستدأب على طلب الحرية.

وحصل على طلاب نجباء عرف انهم سيسعون الى ترقية شؤون اقطارهم الداخلية من شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والادبية والسياسية.

وخزن ايمانا بأن الحكومات الاسلامية ستنتظم يوما ما في جامعة واحدة لتتمكن بهذا الاتحاد من منع التدخل الاجنبي في شؤونهم واكرم مما ناله في دنياه.

هذا هو سياسي الشرق الاكبر يوم لم يكن في الشرق سياسي وهذا هو فيلسوفه الاشهر بعد ان يئس من نبوغ فيلسوف فوق ربوعه وهذا هو ثورويه الاول يوم كان بنوه كجثث بالية ترخ للذل.

هذا هو جثمان موقظ الشرق من سباته سيمر ثانية عبر العراق بعد ان يطوف من جديد في ارجاء الشرق حتى يستقر في مهبطه الاصلي بلاده العزيزة الافغان فلا عجب ان تسترد الحكومة الافغانية جثمانه الطاهر فهو مفخرة شعبها وعنوان حيويتهم ومدون تاريخهم المجيد في لغات العالم وابنهم البار ولامر مثالي سام سيتركز هذا الطود في قلب آسيا وسيكون كالنار يضيء لكافة شعوب الشرق كمحج بينهم.

(٢)

ولا ادري لم لا يجرب احد رجال الاصلاح في جيلنا هذا قتل اهوائه ورغباته الشخصية وتعصبه المرذول لينطلق نقيا كالروح قويا كالاعصار ثابتا كالطود الاشم، فلا اشك بان ستتم على يديه، بما يبذله من قوى روحية وسعي متواصل بما لا يقوى على القيام بمثله الوف ومئات المدارس وعشرات الجامعات..

ان مثل هذا الرجل لو وجد الاهتمام الكافي لقاد يقود الامة الى مافيه الخير لها والصلاح لبنيها والعزة لانوف افرادها، وهكذا كان السيد الافغاني جمال الدين ان نبغ مثل هذا الانسان وحيدا يجهله ابناء قومه، او تفرق عنه الخلق فرارا من دعوته او حسدا لسمو ما يناشدهم اياه، فله من قوة روحه اساتذه يحبذون العلم بعد الجهل، ومن صلابة ايمانه مدربون يوجهون الشعب الى القوة بعد الضعف، ومن مضاء عزيمته حراس يسوقون هذه الجموع الى التكتل بعد التفرق، او من نبل مقصده مرشدون للهدى ونبذ الضلال، ومن زهده في الحياة دعاة يروجون بين افراد الشعب بأن هذا الزعيم انما يعمل من اجلهم في سبيل الله والوطن والكرامة.

يزعم الرأسماليون الغربيون اغنياءهم فقلدناهم لاننا لا ندرك نصيبنا من نقمة الله ويتابعون ذوي الدعايات الصارخة فسرنا على منوالها لاننا لا نحس بما يقتضي الوطن، وينحون نحو التيارات الفكرية الجديدة التي تلائم صناعتهم ومعيشتهم فانجرفنا معهم لاننا لم نفطن الى ما تتطلبه الكرامة ومن اجل ذلك كانت اقدس زعامة شاملة في الاقطار الشرقية هي زعامة جمال الدين.

لقد سعى السيد الافغاني لايقاظ الشرق الاسلامي كله فوفق الى شيء عظيم لما كان يتمتع به من توسيع في آفاقه وتوثب في فكره واخماد لنزوات التعصب لقطر او مذهب او دين.

وليس السيد الفغاني موضع تفاخر فهو قد حارب التفاخر الذي يقتل الهمم والمهم ان يقتدي المسلمون اليوم بكفاحه لاحياء المجد التليد، ونضاله في سبيل حرية الفكر وبكرامته الفوارة التي كانت تحاكي البحر الهائج غضبا من تأخر الشرقيين واستياء من عدم قدرتهم على اللحاق بغيرهم ونقمة على انهم لم يتركوا الجهل والاحقاد والتعصب الذي فرق بينهم.

لقد شبت شجيرة العبقرية هذه في آسيا الاسلامية، وبعد ان تكامل نموها مدت بجذورها في اعماق العالم الاسلامي ثم سعت الى تقويم اعوجاج هذا العالم، ودأبت طيلة حياتها على تسليط المياه الصالحة لانمائها وجلب الاسمدة الصالحة لتقويمها، وتشذيب الاشجار التي لا تثمير الا بعد التشذيب وتقريب الاشجار النائية عن اخوانها فلا فرق عند هذا السيد بين افغاني وايراني وعربي، كما لا فرق عنده بين الشرقيين ان كانوا مسلمين ام مسيحيين ام يهود.

كان –رحمه الله– يقتلع الجذور النتنة والحسك البغيض والشوك المؤذي ليحل محلها الاغراس الجديدة والاشجار المثمرة ويعني بأن تكون صالحة للنماء في البيئة الشرقية ملائمة لطقوسها مساعدة على تغذية ابنائها.

فقد كان هذا السيد اعظم استاذ شرقي في علم البستنة، كما كان اعظم طبيب لامراض الشرق.

ان وجد هذا البستاني العظيم غرسة التفرق محاها لتزهو غرسة الاتحاد، وان رأى غصون البغضاء سحقها لتشيع زهور المحبة، وان عثر على شجيرات الجهل طمها لتكون سمادا لشجيرات المعرفة، وان صادف شجرة الحسد اقتطعها لتحل محلها شجرة الغبطة الزاهية او شهد شجرة الرذيلة وكلها لتنعم شجرة الفضيلة المنعشة، او شم رائحة اغراس الظلم النتنة اهاب باتباعه ان يزيلوها من الوجوه ويهيئوا التربة الصالحة لورود الحرية النفاحة.

هكذا سل هذا السيد كل السخائم من قلوب اتباعه ومريديه فان بقي فيهم شيئا من التعب فمن اجل اوطانهم او قليلا من الغضب فلحريتهم او رائحة للغضب في طباعهم فعلى اعداء اوطانهم.

لهذا السبب صار جميع اتباعه ومريديه من عظماء الرجال وفحولهم فرعوا حقوله الزاهية في زمانه وتعهدوا بساتينه النضرة من بعده، وها ان اتباعهم يتمنون ما بدأ به هذا السيد العظيم.

ستمر بنا اليوم رفات رجل لا ككل الرجال، عاش من اجل فكرة رام تحقيقها ولم يثنه في الحياة شيء على الرغم مما كان في زمانه من طغاة وجهال، وقد ابصر في هذه الفكرة جمالا دعته الطبيعية جمال الدين وسلام عليك في الخالدين.

مجلة الوادي ١٩٥٧

يزعم الرأسماليون الغربيون اغنياءهم فقلدناهم لاننا لا ندرك نصيبنا من نقمة اللّه ويتابعون ذوي الدعايات الصارخة فسرنا على منوالها لاننا لا نحس بما يقتضي الوطن

الافغاني

والاتجاهات الحديثة في التفسير

د.عبدالجبار الرفاعي

لم يستأثر كتاب من الكتب السماوية باهتمام اتباعه مثلما استأثر القرآن الكريم، فقد كان القرآن ولما يزل هو المنهل الذي استقت منه المعارف الاسلامية بأسرها، حتى ان العلوم الاسلامية بمختلف حقولها، فضلاً عن الدراسات الخاصة بالقرآن، تلتقي بمجموعها في العودة الى النص القرآني والاستناد اليه في بيان مفهوماتها، أو الاستدلال عليها،

آفاق التفسير

أو تبريرها وشرعنتها من خلال تقويل هذا النص وتأويله

ولهذا كانت الكتابات في حقول التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية من أغزر الحقول التي تعاطاها المؤلفون والدارسون على مر العصور(١)،فربما لا نجد احداً لم يسهم بذلك على الاقل ولو برسالة صغيرة، مهما كان اهتمامه وتخصصه، بل سعى الكثير من الباحثين القدماء الى اكتشاف أو خلق وشائج عضوية بين مختلف المعارف والقرآن الكريم، وهذا ما نلاحظه بجلاء في التفسير خاصة، فان المتكلم حاول ان يحوِّل النص القرآني الى نص كلامي ويسقط عليه قوالب التفكير الكلامي، وهكذا فعل الفيلسوف، والفقيه، والمحدِّث، والبلاغي، والصوفي والعارف، وغيرهم، فأضحى التفسير ميداناً واسعاً تتمظهر فيه تيارات الفكر الاسلامي في مختلف العصور، وصار النص القرآني يتشكل في وعي الباحثين في صور مختلفة، ويتلون فهمه بألوان متنوعة، تبعاً لتنوع البيئة والمحيط الخاص للمفسر، ونمط ثقافته واهتماماته، وذوقه الشخصي. فقاد ذلك الى تنامي ركام هائل من التأويلات والانطباعات الذهنية، والثقافات السائدة في مختلف الأزمان، في مدونات التفسير، بنحو باتت فيه هذه المدونات مرآة للعصر الذي ألفت فيه، تحكي همومه وتطلعاته، وآماله، وتصوراته، وتصوّر قضاياه ومسائله بمختلف أبعادها. وربما اغرق البعض مدلولات الآيات بمفاهيم لا تتصل بأهداف القرآن وتتنافى مع وظيفته، فاستحالت آياته الى ملتقى للعلوم الغريبة، «حتى آل الأمر الى تفسير الآيات بحساب الجمل ورد الكلمات الى الزبر والبينات والحروف النورانية والظلمانية وغير ذلك»(٢) حسب تعبير العلامة الطباطبائي، وهام البعض وغاص بباء البسملة وصاد الصراط(٣)، حسب قول السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالافغاني.

القرآن يفسره الزمان

يتفق المصلحون من علماء الامة في العصر الحديث على ان ايقاظ الامة واستنهاضها لن يتحقق من دون العودة الى القرآن الكريم والتمسك به، ويشدد هؤلاء العلماء على ضرورة وعي القرآن وعياً جديداً يتحرر من ترسبات التأويلات المتنوعة التي حجبت النص القرآني، وحالت بينه وبين انارة وجدان المسلم. وقد وجد هؤلاء المصلحون ان دعوتهم لاعادة النظر في تفسير القرآن، والعمل على صياغة تفسير حديث يبررها. مضافاً الى ما تقدم، من اصطباغ التفسير وتلونه بالأفق الذهني للمفسر. ان الأطر التقليدية للتفسير لا تتسع لتحولات العصر ومستجداته واستفهاماته، والقرآن كتاب لا يختص بزمان دون زمان، ولا يُعنى بمشكلات قوم دون سواهم، «لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض الى يوم القيامة»(٤) كما قال الامام الرضا عليه السلام.

كما ان المكاسب التي جناها العلم الحديث في اكتشاف عالم الطبيعة، والتعرف بصورة ادق على سنن النفس والمجتمع، وتطور البحث في مجال علم اللغة والدلالة، ستساهم في التعرف على مداليل آيات القرآن بصورة أجلى وأدق، لأن القرآن الكريم يهدف الى البناء الأمثل للاجتماع البشري، ولذلك يعالج في مساحة واسعة منه سنن هذا الاجتماع، فيلتقي القرآن مع العلم في بلوغ النموذج السليم للاجتماع البشري(٥) مضافاً الى ان معطيات العلم يمكن توظيف بعضها، خاصة العلوم الانسانية، في استكناه شيء من مداليل النص القرآني.

وبتعبير آخر ان بموازاة كتاب الوحي القرآني هناك كتاب ثاني هو كتاب الطبيعة الذي يتضمن ظواهر الوجود الكوني كافة «فالقرآن العظيم والكون البديع كلاهما يدل على الآخر ويرشد اليه، ويقود الى قواعده وسننه، فالقرآن يقود الى الكون، والكون ايضاً يقود الى القرآن»(٦)، وهذا يعني وجود تناغم واتساق بين نواميس الطبيعة وسنن الاجتماع البشري من جهة ومعطيات القرآن الكريم ومدلولاته من جهة اخرى، وان الابعاد الغائبة والمداليل الخفية في كتاب الوحي ستتجلى بالتدريج تبعاً لما يتجلى في كتاب الكون وما يزخر به من ظواهر، ولعل في الحديث المنقول عن ابن عباس «ان القرآن يفسره الزمان»(٧) ما يشي بهذه الحقيقة.

غير ان ذلك لا يتحقق وفق عملية دمج تبسيطية، مثلما تفتعل ذلك بعض الكتابات التي تبالغ في توظيف معطيات العلم وفرضياته، وتسعى لقراءة النص القرآني قراءة عاجلة، تسرف في الافتراض والشطط، وانما يتوقف ذلك على اكتشاف «العلاقة المنهجية بين الناظم المنهجي لآيات القرآن من ناحية، وبين السنن والقوانين المبثوثة في الوجود من ناحية ثانية، مع الناظم المنهجي الذي يربط بينهما»(٨).

روّاد الاتجاهات الحديثة

يتفق الدارسون على ان السيد جمال الدين الحسيني المعروف بالافغاني كان اول من دعا الى اعادة النظر في مناهج التفسير القديمة، ومهَّدَ للاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن، لان مشروعه الاحيائي استند الى القرآن كمرجعية يصدر عنها في دراسة واقع المسلمين، والتبصر بمشكلاته وأمراضه، وفي

تحديد الوسائل والادوات اللازمة لتقويم هذا الواقع، وبناء المقومات اللازمة لايقاظه ونهوضه.

وكان جمال الدين اول مفكر مسلم في العصر الحديث يؤكد بصراحة ان السبيل الوحيد لنجاة المسلمين هو العمل بأحكام القرآن وتطبيقها في الحياة(٩)، ويرى ان بعث الأمة واستنهاضها لن يتحقق من دون «بعث القرآن، وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت، من حيث يأخذ بها الى ما فيه سعادتهم دنيا وآخرة»(١٠).

وقد تنبه جمال الدين باكراً الى العلة التي أقعدت المسلمين عن صياغة تفسير للقرآن يوائم مستجدات الزمان ويستجيب لرهانات العصر، فصرح ان هذه العلة تكمن بتقديس التفاسير الكثيرة التي تراكمت حول النص القرآني، عبر مختلف عصور الحضارة الاسلامية، وتشبّعت بملابسات الزمان والمكان، وعقيدة المفسر، ورؤيته، المنبثقة من بيئته الخاصة، وما تمور به من اسئلة ومعارف لا تتجاوز الفضاءالداخلي للبيئة. فحين يتعامل البعض مع رأي المفسر كما يتعامل مع الوحي، يتحول هذا الرأي الى نص ثان يطمس النص القرآني، ويحول دون استنطاقه واستيحاء دلالاته المتجددة، التي لا تنضب ابداً، فان القرآن كما يقول الامام علي عليه السلام بحر «لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون»(١١)

لقد حذر جمال الدين بشدة من الخلط بين النص القرآني «وما تراكم عليه، وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم» ووضع حداً فاصلاً بين آراء الرجال هذه والنص القرآني، وبلور منهجاً واضحاً للتعاطي مع الثاني «كوحي» والأول الذي «نستأنس به كرأي» فحسب. من هنا يجب ان نميز رأي المفسر بدقة «ولا نحمله على اكفنا مع القرآن»(١٢).

ولم يتوقف جمال الدين عند هذا الحد، بل عمل على تطبيق منهجه هذا على الآيات الكريمة التي كان يستهل بها مقالاته في مجلة «العروة الوثقى» والتي تعالج قضايا الامة وهمومها، كقضية التخلف والانحطاط الحضاري، وغلبة الاستعمار وهيمنته على ديار الاسلام. والعجز النفسي وذبول العزيمة، والانبهار وعقدة الحقارة حيال الآخر.

وحينما نطالع مجموعة أعداد العروة الوثقى يلوح لنا اسلوب جديد في التفسير انتهجه جمال الدين، لا نرى ما يماثله لدى من سبقه أو عاصره من المفسرين، ذلك ان جمال الدين سعى لاستلهام الرؤية السياسية والموقف من الاحداث من روح القرآن الكريم، وهكذا كرر هذه التجربة في كل مسألة اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، تناولها في مقالاته، فقد تصدّرت مقالات جمال الدين في العروة الوثقى آيات قرآنية، وتدلّت المفاهيم والرؤى المنبثقة في كل مقال من معين الآية التي يستهله بها، وما يتصل بها من آيات تضيء مدلول تلك الآية، فصار المقال تفسيراً باسلوب مختلف للآية، تفسيراً لا يتورط في نقض وابرام اقوال المفسرين، ولا يستغرق في متاهات لفظية لا تتصل بالحياة، ولا يفتعل مشاغل فكرية تبتعد عن هدف القرآن في هداية الانسان، وانما هو تفسير اجتماعي يقنن موقف المواطن والأمة حيال القضايا الحياتية المتنوعة، ويصوغ رؤية سديدة من منظور القرآن، فمثلاً افتتح مجلة العروة الوثقى بقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) (١٣)، وصدّر المقال الذي يليه بالآية الكريمة (سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا)، حين تناول «ماضي الأمة وحاضرها وعلاج عللها»(١٤)، وفي معرض حديثه عن «انحطاط المسلمين وسكونهم وسبب ذلك» افتتح مقاله بالآية (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (١٥)، وفي مقال «رجال الدولة وبطانة الملوك» بدأ بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا..) (١٦)، واورد الآية (الم، احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) في كلامه عن «امتحان الله للمؤمنين»(١٧)، ولما بحث «سنن الله في الأمم وتطبيقها على المسلمين» جاء بالآية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١٨)، وعندما بحث اثر الخوف في هزيمة الأمة وذوبانها، تحت عنوان «الجبن»، ذكر الآية (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة، قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) (١٩). وفي بيان موقف «الامة وسلطة الحاكم المستبد» استوحى قوله تعالى (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (٢٠)، وعندما حاول ايقاد «روح الأمل وطلب المجد» لدى الامة استلهم مادته من (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون.. ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) (٢١).

هكذا دأب جمال الدين على استيحاء روح القرآن واستلهام معالجاته لمشكلات الامة وامراضها(٢٢)، فباشر بذلك تجربة رائدة في رسم اصول «التفسير الاجتماعي للقرآن»، وتدشين اسسه في خطابه النهضوي.

واستأنف لاحقاً تلميذه الشيخ محمد عبده الامتداد بتجربة استاذه، في اسلوب التعامل مع تراث المفسرين، ومنهجه في الكشف عن المداليل الاجتماعية للذكر الحكيم، وهو ما يتجلى في رسالة سياسية بعث بها محمد عبده إلى أحد أعضاء جمعية العروة الوثقى، يكتب فيها «وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه، واحمل بنفسك على ما يُحمل عليه، وضم إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية، واقفاً عند الصحيح المعقول، حاجزاً عينيك عن الضعيف والمبذول»(٢٣). واقتفى التلميذ عبده خطى الاستاذ في تفسيره، و«طبق فيه منهج استاذه الأفغاني»(٢٤). وتحدث بصراحة في مقدمة دروسه في التفسير التي قررها تلميذه السيد محمد رشيد رضا، عن ان التفسير الذي يرمي اليه «هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة»(٢٥). وأوضح ان التفاسير السابقة ابتعد الكثير منها عن مقصد الكتاب الكريم، عبر استغراقها في مباحث البلاغة والاعراب، وتتبع القصص، وغريب القرآن، والأحكام الشرعية، وعلم الكلام، والمواعظ والرقائق، والاشارات الصوفية. وأورد محمد عبده تساؤلاً يتكرر في عصره والعصر الذي تلاه، ويتلخص في قول البعض، بانه «لا حاجة إلى التفسير والنظر في القرآن، لأن الأئمة السابقين نظروا في الكتاب والسنة، واستنبطوا الأحكام منهما، فما علينا إلاّ أن ننظر في كتبهم ونستغني بها»(٢٦). ثم أجاب بصيغة استفهام استنكاري، بأن هذا الزعم «لو صح لكان طلب التفسير عبثاً، يضيع به الوقت سدى، وهو مخالف لاجماع الأمة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر واحد من المؤمنين، ولا أدري كيف يخطر هذا على بال مسلم؟!»(٢٧). وشدد على ان المخاطب في القرآن هم أفراد النوع الانساني في كل زمان، والقرآن أنزل لهداية هذا النوع، «فهل يعقل انه يرضى منا بأن لا نفهم قوله هذا، ونكتفي بالنظر في قول ناظر نظر فيه، لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعه لا جملة ولا تفصيلا؟!» واردف هذا الاستفهام بنفي قال فيه: «كلا، إنه يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته، لا فرق بين عالم وجاهل»(٢٨).

لم يتوقف جمال الدين عند هذا الحد، بل عمل على تطبيق منهجه هذا على الآيات الكريمة التي كان يستهل بها مقالاته في مجلة «العروة الوثقى» والتي تعالج قضايا الامة وهمومها

تاريخ خالد..

طه الراوي

ايها السيد الكريم والمصلح العظيم، سلام الله عليكم ورضوانه عنكم ايها الحفل الكريم
حياكم الله بالحسنى..

اما بعد فانه قد مضى على امتنا العزيزة حين من الدهر كانت فيه سيدة نفسها ومالكة امرها، بل سيدة الامم، واليها المرجع في سياسة السيف والقلم، ثم مالبث الدهر ان قلب لها ظهر المجن فانكرت نفسها وجهلت امسها وراحت تتسكع في ديجور ظلام دامس لا تستبين في حندسه طريقا ولاتهتدي الى سبيل، وكان يلوح لها في الافق بين الحين والحين وميض تسير على نوره حينا ثم يختفي، وكان الراحل الكريم والمصلح العظيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني، احد تلك الاقمار المنيرة، فقد طلع في سماء هذه الامة كوكبا هاديا كما كان بيد الحق حساما ماضيا، بل كان منارا يفيض بالنور يهدي الى الحق والى سراط مستقيم، وقد اختط لنفسه منهاجا واضحا لا غموض فيه ولا ابهام يتلخص في:

ايقاظ الامة الاسلامية من ردقتها، ولم شعثها وجمع كلمتها، ثم النهوض بها الى سامي مكانتها، التي تليق بها، لكي تساير مواكب الامم المتحضرة، في تقدمها وتساهم في بناء صرح المدنية، ورفع مستوى الانسانية ومع انه كان يدعو الى منهاجه هذا بالحكمة والموعظة الحسنة فانه لقي في زمانه ارهاقا وعنتا:

لا يستقر بارض او يسير الى
اخرى بعزم قريب شخصه نائي

ولم يزل تتقاذفه الاقطار الشرقية والغربية حتى القى عصا النطواف في دار الخلافة الاسلامية يومذاك، وكان عليه في سبيل مهمته تلك ان يحارب الجهل والجاهلين، والجمود والجامدين، والتفرقة ودعاتها، والباطل والمبطلين، كما كان عليه ان يؤازر العلم والعالمين، والتجدد والمجددين، والعدل والعادلين والحرية والمحررين، ووحدة الكلمة ودعاتها، والحق واهله، ومازال يجاهد ويجالد ويناضل ويساجل حتى رحل الى جوار ربه راضيا عن مسعاه، حامدا غب مسراه لانه لم ينحرف عن سبيل الحق قيد شعرة.

ولعمري ان السيد جمال الدين خالد في تاريخه الحافل بجسيم الاعمال، العامر بجليل الحسنات، حي في ذكراه المقرونة بالباقيات الصالحات، وهي خير عند ربك ثوابا وخير عقبى.

وما اجدره بقول القائل:

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم
تبعد الممات جمال الكتب والسير

ايها الراحل الكريم

هل بلغتك.. ولا اخال الا انها بلغتك- المساعي التي يبذلها زعماء الامة العربية اليوم في سبيل اقامة بناء الوحدة القومية على امتن القواعد وارضها؟. لا جرم ان الوحدة العربية تعتبر حجر الزاوية في بناء الوحدة الكبرى التي كنت تنشدها وتدعو اليها انت وانصارك من المؤمنين، رضي الله عنك وعنهم اجمعين، وجعلك واياهم في عداد اهل عليين مع المقربين من الصديقين والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقا.

جريدة العراق ١٩٤٥

هل سكن الأفغاني ببغداد؟

بماذا تحدث الزهاوي عن الأفغاني؟

العلامة الأثري مدعو لكشف بعض الحقائق

عبدالقادر البراك

يعتبر السيد جمال الدين الافغاني من اعظم دعاة الاصلاح بين علماء المسلمين في القرن الماضي، ولقد كان ايمانه بما يعتقد من آراء، وما يعتلج في نفسه من حماسة يكسبه الاف المريدين والطلاب ويؤجج في نفوسهم ما يمور في اعماقه من احاسيس التمرد ضد السلاطين الطغاة واعوانهم من حواشي السوء، ولقد كان هو والشيخ الامام (محمد عبده) اكبر رائدين ثوريين في العالم الاسلامي وعكست مجلتهما التي اصدراها في باريس (العروة الوثقى) اراءهما التي مازالت مثار اهتمام الباحثين في الحركات الاصلاحية في العالم الاسلامي هذا اليوم كما كانت في الامس الدابر ولم يكن حظ المجتمع العراقي من توجهات السيد الافغاني بأقل من حظوظ المجتمعات العربية والاسلامية في مصر وتركيا، ولكن ما كتب عن تأثيره في مفكري العراق، وعن صلته بالعراق لم يكن بالشيء المذكور بالنسبة عما كتبه الكاتبون عن دور الافغاني في سائر الاقطار العربية والاسلامية.

وقد لايعرف الكثيرون ان السيد الافغاني قد سكن بعض الوقت ببغداد والبصرة ولكن المؤرخين لم يذكروا ذلك بالتخصيص وانما ذكروا ان (عبدالمحسن الكاظمي) الشاعر العراقي قد اتصل به خلال المامه ببغداد وانه قد اتخذ من احد خانات (سوق الصفافير) التي استغل بعضها المرحوم (جعفر ابو التمن) ادارة لعمله التجاري ولم يتجاوز الكاتبون عن الافغاني – في مجال التاريخ– اكثر من ذلك كثيرا وقد اقيم مهرجان للافغاني ببغداد عام ١٩٤٥ كما هو معروف.

واذكر ان الشيخ (عبدالقادر المغربي) وهو من تلاميذ الافغاني قد كتب في سلسلة كتب (اقرأ) المصرية دراسة عن المصلح الكبير وكان من بين ما اورده انه كان على اتصال بالسيد عبدالرحمن النقيب نقيب اشراف بغداد، اول رئيس لوزراء الحكم الوطني في العراق، ولكن ذكر ان السيد عبدالرحمن هو ابن (السيد رجب) النقيب مع العلم ان (السيد رجب) هو والد الزعيم المعروف (السيد طالب النقيب) في البصرة فهل كان اتصال الافغاني بنقيب بغداد او نقيب البصرة؟

ولقد لفت نظر صديقي الاديب الكبير المرحوم (مصطفى علي) الى الوهم الذي وقع فيه (المغربي) ورجوته ان يكتب له ليصحح ما ذكره. ولم ادر ما اذا كان الاستاذ (مصطفى) قد قام بذلك ام لا والذي ادريه ان طبعة جديدة من كتاب المغربي عن (الافغاني) قد صدرت ولم يرد فيها شيء عن هذا الذي قلت انه من اوهام المغربي؟.

وعلى ذكر الافغاني فان الشاعر الكبير (جميل صدقي الزهاوي) كان يتحدث عنه كرائد من رواد ندوته في استانبول وقد ذكر عنه انه قال ان مصدر قوته وثورته ضد الطغاة الحاكمين في ايران وتركيا كانت مستمدة من قراءته لتراث اجداده المسجل في (مقاتل الطالبين) لمؤلفه (ابو الفرج الاصفهاني) وانه كان (يعلك) (ورد الدفلة المر) ليعود نفسه على تجرع المر لكي يستطيع تحمل الاضطهاد اذا تعرض له!

ولقد سبق ان ذكرت الصحف ان العلامة الكبير الاستاذ الشيخ محمد بهجة الاثري قد وضع دراسة عن (جمال الدين الافغاني) تطرق فيها باسهاب الى حياته ببغداد وما بثه من آراء ومن استمع الى دروسه ومواعظه وتوجيهاته خلال مدة اقامته، ولاشك في ان الاستاذ الاثري خير من يصلح لتدوين تلك الحقبة من حياة هذا الزعيم الكبير لمعاصرته للعديد من امثاله الذين تتلمذ عليهم من امثال (السيد محمود شكري الالوسي) ومن هنا يتوجب على الاثري ان يزيل الكثير من الركام المطلوب ازالته عن حياة الافغاني ببغداد.

فهل هو فاعل ذلك؟

وهل لنا ان نرجو منه سد هذه الثغرة في حياة (الافغاني) بما يمس العراق على الاقل؟.

جريدة الجمهورية ١٩٩١

جمال الدين الافغاني

زاملَ الحبوبي في النجف

صلاح الدين جعفر

ولدَ في شعبان سنة ١٢٥٤هـ ١٨٣٨م في اسد اباد من توابع همذان وتوفي في شوال ١٣١٤هـ ٩/ ٣/ ١٨٩٧ في استنبول وصلي عليه في جامع التشويقية ،ودفن في مقبرة شيخلرمزار لفي اي مقبرة المشايخ التي تختص بقبور الاولياء والعلماء على مقربة من الجامع المذكور.

ويقال ان اسمه الكامل محمد جمال الدين بن السيد صفدر الحسيني الهمذاني الاسد ابادي الشهير (بالسيد جمال الدين الافغاني). يعتبر السيد جمال الدين الافغاني رائدا من رواد حركة الاصلاح في العصر الحديث وباعث الروح النهضوية واول من صاغ المشروع الاصلاحي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بجبهتيه: جبهة مواجهة الاستعمار في الخارج، وجبهة مواجهة الاستبداد في الداخل.

لقد دعا الافغاني الى مقاومة الجمود الفقهي حيث قال:ما معنى ان باب الاجتهاد مسدود؟ وباي نص سد؟ و أي امام قال لا يصح لمن بعدي ان يجتهد ليتفقه في الدين

وهو اول من صاغ مفاهيم الوحدة في العصر الحديث.عاش اكثر من نصف قرن، واضطر الى مغادرة بلاد الافغان وترك الهند الى مصر ثم الى الاستانة وتحمل السجن والنفي وهو غير راض عن نفسه التي كانت تصبوا الى الشهادة. دخل جمال الدين مصر مرتين اولا هما كانت سنة ١٨٦٩م ولم يمكث في مصر في تلك الفترة سوى اربعين يوما، توجه بعدها الى الاستانة والثانية كانت عام ١٨٧١م واستمرت اقامته هذه المرة ثماني سنوات ولم يخرج منها الا مكرها سنة ١٨٧٩م حيث نفي بسعاية من الانكليز الى الهند، اذ اعتقل في حيدر اباد ثم كلكتا ثم سمح له بمغادرة الهند بعد قمع الثورة العرابية واحتلال الانكليز مصر عسكريا.وقد وصف محمد عبده اثر جمال الدين في مصر فقال:جاء الى هذه الديار رجل غريب، بصير بالدين عارف باحوال الامم، واسع الاطلاع، جم المعارف جريء القلب وهو في جميع اوقاته مع الناس يجتمع لا يسأم الكلام فيما يثير العقل او يطهر العقيدة، ويذهب بالنفس الى معالي الامور، فاستيقظت مشاعر وانتبهت عقول، يقول عنه الاستاذ احمد امين: كان اخصب زمنه وانفع ايامه واصلح غرسه ما كان في مصر مدة اقامته بها ثماني سنين كانت من خير السنين بركة على مصر وعلى الشرق لقد جرب السيد ان يبذر بذورا في فارس والاستانة فلم تنبت ثم جربها في مصر فأنبتت، وقد كان لجمال الدين قدرة تامة على كسب الانصار وجمع المريدين من حوله كمحمود سامي البارودي واحمد عرابي، وعبد الله النديم، ومصطفى كامل، ومحمد عبده، وسعد زغلول وغيرهم.

اربعة اركان قام عليها المشروع الفكري الاصلاحي لجمال الدين الافغاني:

١. الالتزام بمبادئ الاسلام والاقتداء بسلف الامة.
٢. تحرير الامة من الاستبداد الداخلي والخارجي.
٣. توحيد الامة في جامعة اسلامية.
٤. الاخذ باسباب القوة من العلوم والنظم الغربية.

وكانت التعاليم الثورية لجمال الدين تدعو الى التحرر من المستعمر الاجنبي و التخلص من ظلم الحكم المحلي معا.

وحين استقبله الخديوي توفيق قال له [ان دروسكم واقوالكم المهيجة ستؤدي بالشعب والبلاد الى التهلكة] فرد عليه جمال الدين قائلا:

اذا قبلتم نصحي واسرعتهم لاشراك الامة في حكم البلاد فتأمرون باجراء انتخاب نواب عن الامة تسن القوانين، فان ذلك اثبت لعرشكم وادوم لسلطانكم.

لقد دعا الافغاني الى مقاومة الجمود الفقهي حيث قال:ما معنى ان باب الاجتهاد مسدود؟ وباي نص سد؟ و أي امام قال لا يصح لمن بعدي ان يجتهد ليتفقه في الدين، ويهتدي بهدي القران وصحيح الحديث؟ والاستنتاج والقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمان واحكامه؟وهكذا اسس السيد جمال الدين في الفكر السياسي الاسلامي المصري لفكرتي الاسلام المجاهد ضد الطغيان الداخلي والخارجي والاسلام المتحرر من قيود التقليد المنطلق في رحاب حرية الفكر وسعة الاجتهاد.

افغاني ام ايراني؟

ان اصل الافغاني ما زال سرا شائكا على الرغم من ان كل الدلائل تقول انه من اصل ايراني.

١. ان في قرية اسد اباد الايرانية اشخاصا يدعون انهم اقرباء السيد جمال الدين وتعرف هذه القرية باسم قرية [السيد جمال الدين] ولا تزال الغرفة التي ولد فيها الافغاني على حالها حتى اليوم.
٢. صدر كتاب في برلين عام ١٩٢٦ كتاب بالفارسية في سيرة الافغاني بقلم المرزا لطف الله خان ويدعي المؤلف انه ابن اخت الافغاني وانه اجتمع به في طهران عند ذهاب الافغاني اليها عام ١٨٨٦م ويحتوي الكتاب على صورة فوتغرافية تجمع الافغاني بالسيد جمال الدين الاثنين.
٣. كان الافغاني قد زار ايران مرتين بدعوة الشاه وقد الح الشاه عليه ذات مرة ان يتولى رئاسة الوزارة فابى.
٤. عندما اشتد العداء بين الشاه والافغاني اخذ اعوان الشاه يشوهون سمعة الافغاني فاشاعوا انه (بابي) وانه غير (مختون) ولكنهم لم يشيعوا انه (سني) او (افغاني) في حيث ان خصوم الافغاني في اسطنبول يشيعون عنه انه ايراني ومتشيع ومن هؤلاء ابو الهدى الصيادي وكان يقول عنه انه مازندراني ومن اجلاف الشيعة.
٥. المعروف عن الافغاني انه كان اثناء تجواله في الاقطار المختلفة ينزل في ضيافة الايرانيين في موسكو نزل بضيافة القنصل الايراني نعمة الله الاصفهاني وفي بغداد نزل عند عبد الصمد الاصفهاني في الخان العائد له وهو خان خاص بالايرانيين وفي البصرة نزل في دار توفيق الهمداني في العشار وكان يأكل عنده [الكليجة] الايرانية.
٦. عند نفي الافغاني من مصر عام ١٨٧٩ لم يأت لتوديعه سوى القنصل الايراني احمد النقاوي.
٧. ان والد الافغاني اسمه [صفدر] وهذا الاسم فارسي مركب من كلمتين [صف] و [در] ومعناه ممزق الصفوف.

وكان له خادم يدعى [عارف ابو تراب] وان اسم ابو تراب لا يوجد سوى في ايران وغير ذلك من الادله الكثيرة على ان اصله ايراني.

تشير القرائن ان الافغاني مكث في النجف بضع عشر سنة حيث كانت النجف انذاك في اوج عظمتها من الناحية العلمية حيث ازدهرت فيها الدراسات الفلسفية وكلامية والاصولية وقد عاش الافغاني في هذا الجو الفكري والمعروف عنه انه كان شديد الذكاء قوي الحافظة ميالا للجدل والفلسفة يقول عنه السيد محمد سعيد الحبوبي وكان زميلا له في الدراسة (لقد كنا ندرس معا علم التصوف عند الحاج عباس قولي بالنجف وكان الافغاني من حسن البيان بحيث يستطيع ان اراد ان يصور الحق باطلا والباطل حقا).

اسطنبول: حين وصل الافغاني الى اسطنبول كان في زي سيد افغاني عليه جبة وكساء وعمامة عجراء، فاجتذب اليه الانظار، وقابل الصدر الاعظم عالي باشا فنال عنده حظوة وبعد ستة اشهر عينه الصدر الاعظم عضوا في مجلس المعارف الاعلى. اخذ الافغاني يتعلم اللغة التركية حتى اجاد الكتابة والتكلم بها في ١٨٧٠ وفي شهر رمضان القى الافغاني خطابا بين جمع غفير من الحكام والعلماء والصحافيين تطرق فيه الى ذكر الانبياء والفلاسفة القدماء كابن رشد وابن سينا. فاثار عليه بعض رجال الدين ومنهم شيخ الاسلام حسن فهمي افندي وكان يضمر له العداء والحقد ولم تكد تنتهي الحفلة حتى اخذ شيخ الاسلام يشنع على الافغاني وينسب اليه انه اهان الانبياء وقال ان النبوة صنعة من الصنائع. وسرعان ما تلاقف خطباء المساجد هذه التهمة حيث وجدوا فيها موضوعا يهيجون العوام بها عليه.

الافغاني يدخل المحفل الماسوني

في اواخر ايار ١٨٧٥ قدم الافغاني طلبا الى المحفل الماسوني في القاهرة يطلب فيه قبوله عضوا في المحفل ولا تزال ورقة الطلب محفوظة في مكتبة البرلمان الايراني وهي بخط يد الافغاني.تم قبول الافغاني في المحفل الماسوني ثم اخذ يرتقي في مراتب الماسونية سريعا حتى وصل اوائل عام ١٨٧٨ الى مرتبة الرئاسة. كان دخول الافغاني في الماسونية وارتقاؤه فيها من جملة الاسباب التي رفعت من شان الافغاني في مصر ووسعت مجال نفوذه في الدوائر الحكومية واوساط الطبقة العالية.ما دفع الكثير من مريديه الى الدخول في الماسونية..

حيث ان المحفل ضم الامير وكذلك ولي العهد ونخبة من الصحفيين والكتاب منهم يعقوب بن صنوع وسعد زغلول واديب اسحاق ومحمد عبده والمويلحي وبطرس غالي واعضاء مجلس الشورى وبعض ضباط الجيش.

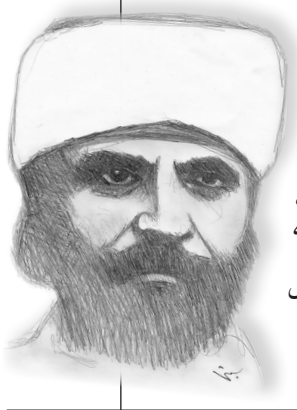

صفحة رائعة

عبدالجبار خلف

صفحة رائعة من تقليدنا التحرري تعاد فتنشر، وسجل خالد من سجل نضالنا الوطني وكفاحنا القومي يبعث ببهائه وجلاله ليوقظ في النفوس الهمم، ويذكي في القلوب الامل فيحفزها للعمل، ويقوي عزمها للمطالبة بحقوقها، وكسب قضيتها الوطنية وتحقيق آمالها القومية.

لقد احب السيد جمال الدين الافغاني الشرق حبا جما، فوهب حياته للدفاع عنه، وضحى براحته وهنائه في سبيل سعادته وسعادة ابنائه، فطوف في اقطار الشرق واحبها جميعا فهو كما يقول عنه الاستاذ الجواهري:

هويت لنصرة الحق السهادا
فلولا الموت لم تطق الرقادا

على ان السيد الافغاني حتى في الموت لم يطق الرقاد فيعود حنينه الى التطواف في اقطار الشرق وربوعه ليتلمس اثر الداء فيرشد الى الدواء، كما كان في حياته كذلك شأنه بعدها.

لشد ما كان يحز في نفس السيد جمال الدين الالم حين كان يطوف في ربوع الشرق واقطاره فيرى بؤس ابنائه، ويتلمس شقاء شعوبه، ولكم كان يتمنى لهذه الشعوب حياة الهدوء والاطمئنان على ان قوة ارادته ومضاء عزيمته وشدة اخلاصه وتفانيه في خدمة الشرق ونصرة الحق اذكت في نفسه حب العمل، فلم يستسلم للاماني المجردة، ولم يتنم على الخيالات الجوفاء، وانما نزل الى ميدان النضال بكل ما يملك من قوة، وما فيه من حول وجلد، وقد ريض نفسه على الكفاف، وابتعد عن الدنيا وما فيها من مغريات فاستمع اليه حين يقول:

لقد جمعت ما تفرق من الفكر، ولمت شعث التصور، ونظرت الى الشرق واهله فاستوقفتني الافغاني وهي اول ارض مس جسمي ترابها، ثم الهد وفيها تثقف عقلي، فايران بحكم الجوار والروابط، فجزيرة العرب من حجاز وهو مهب الوحي ومن يمن وتبابعتها ونجد، والعراق وبغداد وهارونها ومأمونها، والشام ودهاة الامويين فيها، والاندلس وحمرائها، وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام وما آل اليه امرهم في الشرق الغربب، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه، وتحري دوائه، فوجدت اقتل ادوائه داء انقسام اهله وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم.

ولد السيد الافغاني في اسد آباد من قرى كنر عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٩م) ويرجع نسبه الى الحسين بن علي (ع) وقد جمع الى شرف النسب عزة السيادة فقد كان اهل بيته سادة على عمالة من اعمال الافغان. وتعلم على غرار اهل زمانه في بلاده الفارسية، والعربية، ودرس الرياضيات في الهند على الطريقة العصرية، كما انه تعلم الفرنسية وهو كبير وقد استطاع ان يترجم منها، ولكن ما تعلمه اثناء سياحته الطويلة في الشرق خاصة والغرب عامة علمته تجارب عملية واسعة واكسبته خبرة عظيمة اعانته في التوصل الى حل كثير من المشاكل بطريقة محكمة رشيدة.

وكان السيد الافغاني في نضاله يستهدف اصلاح حال الامة، ويبغي في كفاحه بلوغ المطامح الوطنية، وتحقيق الاهداف القومية والعيش تحت راية الحرية والهناء والسلام، فكان يطالب ويلحف في الطلب بدستور ديمقراطي تصان حرمته، ومجلس نواب تنتخبه الامة انتخابا ديمقراطيا حرا من ذوي الكفاءات من ابناء الشعب، ليعبر عن ارادته ورغباته تعبيرا صادقا، ويعرض حاجياته، ويدافع عن حقوقه بامانة واخلاص فهو قد ادرك القوة الكامنة في الامة وايقن ان كل محاولة للاصلاح من غير اشراك الامة في الحكم تكون نتيجتها الحتمية الفشل، ونصيبها الخيبة لذلك نراه يقول: ان القوة النيابية لاي امة كانت لايمكن ان تحوز المعنى الحقيقي الا اذا كانت من نفس الامة، وان اي مجلس نيابي يأمر بتشكيله ملك او امير او قوة اجنبية محركة لهما، فاعلموا ان حياة تلك القوة، والنيابة الموهومة موقوفة على ارادة من احدثها.

فمقدمات مجلس نيابي قوته المحدثة له خارجة عن محيط الامة، والمحدث له قوة خارجة عن الامة ومجلسها، يعارضها منافع متضادة، وهدفان مختلفان، فمثل هذا المجلس لاقيمة له، وكما انه لايعيش طويلا كذلك لا يغني عن الامة فتيلا.

وكان يؤمن ايمانا راسخا بأن التفاوت بين الشعوب والامم ليس وليد قوانين ازلية لايمكن تبديلها، وليس نتيجة نواميس كونية ابدية ليس من المستطاع تغييرها كما يشيع دعاة الاستعمار واذنابه من اصحاب رؤوس الاموال، وانما هذا التفاوت بين الامم والشعوب ماهو الا عارض وقتي يزول بزوال مسبباته، وما هو الا حدث خاص بمرحلة معينة من مراحل البشرية وهي مرحلة استغلال الانسان لاخيه الانسان ينتهي بانتهائها، ويزول بزوالها، وان النتيجة الحتمية للتطور الانساني والتقديم البشري لابد ان تنتهي بمحو التفاوت بين الشعوب والقوميات، واقامة المساواة والتآخي بينها وقد عبر السيد عن هذا المعنى احسن تعبير: ولما كان لحياة الامم والدول ادوار وآجال، ولحدوثها وتكونها، وتعاليها ثم توقفها، وانحطاطها اسباب وعوامل، هكذا وجب ان يكون الاستعمار خاضعا لتلك النواميس الكونية، بمعنى انه يصل الى حد محدود واجل معلوم.. وانقضاء اجل الاستعمار انما يتم بزوال الاسباب التي مكنت اهله التسلط، واكرهت الشعوب على الخضوع لهم..

كان السيد باطلاق الحريات للكلام والاجتماع والنشر والعمل، كان يريد نشر العلم وبث الثقافة بين افراد الشعب، كان يريد ترقية شؤون الاقطار الشرقية الداخلية بالادارات الحرة المنظمة، ثم كان يرمي الى جامعة تضم تحت رايتها الحكومات الاسلامية.

اقام سيد في مصر ثمان سنوات من مارس سنة ١٨٧١ الى آب ١٨٧٩ كانت كما يقول الاستاذ احمد امين، من خير السنين بركة على مصر وعلى العالم الشرقي لا بجمال مظهرها وحسن رونقها، وسعادة اهلها، ولكن لانه فيها كان يدفن في الارض بذورا تتهيأ في الخفاء للنماء، وتستعد للظهور ثم الازهار فما اتى من تعشق للحرية وجهاد في سبيلها فذها اصلها، وان وجدت بجانبها عوامل اخرى ساعدت عليها وزادت في نموها..

وارز عمل قام به في مصر هو التعليم فكان يعلم في بيته، ويعلم في المقهى ويعلم في بيوت الاغنياء عند زيارتهم، فكل همه ان يعلم وان ينشر العلم حينما وجد اينما كان وحيثما حل، وقد جمع حوله طائفة لابأس بها ممن يتشوقون الى العلم، ويتعطشون لايراد منهله، من منبعه الامين.

وقد قام السيد عند اقامته في مصر بعمل لايقل روعة عن عمله في التعليم فقد جذب الادب من الابراج العاجية والقى به في احضان الشعب. وعكس اتجاهاته الخيالية، ومراميه التجريدية، وغاياته التقليدية، ووجهة واقعية مستمدة من حاجة الامة في مطالبتها بحقوقها، ورفع الظلم عنها، ثم انه اتخذ الادب اداة للتعبير عن ارادة الجماهير وما تحتاج اليه من اصلاح، وما تبغي من مطامح في ترفيه حالها، ودفع البؤس عنها، ورفع الشقاء عن كاهلها، فأصبح الادب بهذا معبرا حقا عن مطامح الشعب وغاياته وبه صار ادبا حقيقيا بعد ما كان اداة للتوسل والاستعطاف او تكرارا في التقليد والمحاكاة.

سارت تعاليم السيد سريان العافية في الجسم المريض، ولاقت اقبالا منقطع النظير وقد اثرت في نفوس بعض الشباب المتحمس اثرا عميقا، وراحوا يحققون تلك التعاليم، فهذا اديب اسحق تلميذ السيد وصديقه الحميم انشأ جريدة مصر وراح يكتب بها الكتابات الحماسية، ويدبج المقالات النارية في انصاف الامة، والترفيه عن حالة الشعب، وطلب الحرية، ورفع الظلم والاستبداد ومن ورائه استاذه يرشده ويهديه، وينشر تحت اسم مستعار (مظهر بن وضاح)..

وكان يشجع تلاميذه واصدقاءه على الكتابة والنشر فأنشأ اديب اسحق جريدة ثانية في الاسكندرية سماها (النجارة) كما وانه وجه (الوقائع المصرية) توجيها واقعيا.

وغادر مصر مكرها الى الهند ثم الى انكلترا ومنها سافر الى باريس، وقد قرر الاقامة فيها فكتب الى صديقه وساعده الايمن الشيخ محمد عبده ليوافيه بها من منفاه في بيروت.

اجتمع المصلحان الكبيران في باريس والشوق الى النضال آخذ منهما كل مأخذ، فقر رأيهما على انشاء جريدة باسم (العروة الوثقى) على ان يتولى الشيخ محمد عبده تحريرها، بارشاد استاذه، وميرزا محمد باقر لتعريب ما يهم تعريبه من الصحف الخارجية، ولتوضيح اغراض هذه الجريدة واهدافها نذكر ما لخصته في العدد الاول من اعدادها الصادر في ١٣ مارس آذار سنة ١٨٨٤م.

١-بيان الواجبات على الشرقيين التي كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف، وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك مافات.

ويستتبع ذلك بيان اصول الاسباب ومناشئ العلل التي افسدت حالهم، وعمت عليهم طريقهم، وازاحة الغطاء عن الاوهام التي حلت بهم.

٢-اشراب النفوس عقيدة الامل في النجاح وازالة ما حل بها من يأس.

٣-دعوتهم الى التمسك بالاصول التي كان عليها آباؤهم واسلافهم، وهي ما تمسكت به الدول الاجنبية العزيزة الجانب.

٤-الدفاع عما يرمي به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم، وابطال زعم الزاعمين ان المسلمين لايتقدمون في المدنية مادامو متمسكين باصول دينهم.

٥-اخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة.

٦-تقوية الصلات بين الامم الاسلامية وتمكين الالفة بين افرادها، وتأمين المنافع المشتركة بينها، ومناصرة السياسة الخارجية التي لاتميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين.

صدر من الجريدة ثمانية عشر عددا في ثمانية اشهر كان العدد الاخير منها في ١٨ تشرين الاول سنة ١٨٨٤.

وقد ادت جريدة (العروة الوثقى) خدمات جلى الى الشرق، فكانت تدعو الى توحيد الجهود، والنضال للتحرر من نير الاستعمار، ولكن عمر الجريدة لم يطل مع الاسف فاحتجبت عن الصدور، وطويت صفحتها بعد نضال قاس، وبعد

ان غرست في قلوب ابناء الشرق اليقظة والتحفز للتحرر والانعتاق.
اقام السيد في باريس ثلاثة اعوام، كانت طافحة بالحوادث، مفعمة بالتقلبات السياسية، مغرقة في الارتجاجات الفكرية، وهو يكافح في هذه الاعاصير العاتية، والعواصف الهوج.
وتعرف السيد عند اقامته في باريس بالفيلسوف رينان، وقد اشتهر هذا الفيلسوف بتحامله على الاسلام، والانتقاص من شأن العرب بوجه خاص، وجرت بين حكيم الشرق ومصلحه الامين، وبين فيلسوف الغرب المتحامل على الشرق مناورات ومناوشات، فالفيلسوف يريد انكار ما للعرب من قيمة علمية، ونتاج فكري، ويريد ان ينتقص من تقدير الاسلام للعلم والفلسفة وتقبل الآراء الحرة، والسيد الحكيم والمصلح العظيم يرد على الفيلسوف ادعاءاته بما اشتهر به من حصافة العقل، وقوة الحجة، وسحر البيان، وقد شاركه في الرد على الفيلسوف رينان بعض الشباب المسلم المتحمس المقيم في باريس آنذاك.
لقد عيرنا الفيلسوف رينان فيما عيرنا به من اننا عدمنا ولو ثائرا واحدا، ولعمر الحق اما كان يكفي رينان ان يرى امثال السيد والشيخ محمد عبده وغيرهما ممن التقى معهم، او سمع بهم، او قرأ عنهم، ليرد ادعاءه في نحره.
وزار السيد جمال الدين من جملة ما زاره من البلاد روسيا، وحل في سان بطرسبرغ عام ١٨٨٦ وبقي فيها الى عام ١٨٨٩ فتكون مدة اقامته ثلاث سنين، اما سبب زيارته لروسيا وان كان غير واضح، الا انه يحمل على الظن انه اراد ان يطلع على حال المسلمين في روسيا حينذاك فقد كان يعد فيها نحو ثلاثين مليونا، وكانت حالتهم سيئة يعاملون كما يعامل غيرهم من الشعوب والقوميات المتعددة التي تضمها روسيا، بعنف وشدة، فسميت روسيا لظلمها واستبدادها بشعوبها اثناء الحكم القيصري (سجن الشعوب).
قابل السيد الافغاني، قيصر روسيا وجرى بينهما حديث ذو شجون ولابأس ان نورد ما جرى بين السيد جمال الدين والقيصر كما جاء في كتاب المخزومي، (خاطرات جمال الدين الافغاني).
سأل القيصر جمال الدين عن سبب اختلافه مع الشاه، فذكر له رأيه في الحكومة الشورية، وضرورة اتباعها، وان الشاه ينفر من ذلك ولا يحب ان يقر به.
قال القيصر: اني ارى الحق في جانب الشاه اذ كيف يرضى ملك من الملوك ان يحكم به فلاحو مملكته؟.
فأجاب جمال الدين بجرأة وفصاحة: (اعتقد ياحضرة القيصر ان عرش الملك، اذا كانت الملايين من الرعية اصدقاء له، خير من ان تكون اعداء يترقبون الفرص، ويكمنون في الصدور سموم الحقد ونيران الانتقام.
فعلت عند ذلك وجه القيصر علامة غضب، فقطب حاجبيه ولم يطل الحديث بعد ذلك مع جمال الدين وودعه بغير الشكل الذي استقبل به، اذ كان وداعا باردا، ثم اوعز القيصر الى اكبر رجال بلاطه ان يسرعوا متلطفين اخراجه من روسيا.
فلم يكن بد للسيد ازاء هذا الامر الواقع الا ترك روسيا، فتركها وفي نيته زيارة معرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٨٩، فطوف اثناء سفره بانحاء اوربا ونزل في ميونيخ وبها التقى مع شاه الفرس ناصر الدين شاه فدعاه لزيارة فارس.
وحل السيد في طهران وقد اختمرت في رؤوس بعض العلماء والمثقفين فكرة الاصلاح، وقد تأثر الى حد بعيد بآراء السيد وافكاره وايقنوا الاّ اصلاح بدون تغير في الحكم، وتبديل في النظام وهذا بطبيعة الحال كان تبلور العمل الثوري

كان يشجع تلاميذه واصدقاءه على الكتابة والنشر فأنشأ اديب اسحق جريدة ثانية في الاسكندرية سماها (النجارة) كما وانه وجه (الوقائع المصرية) توجيها واقعيا.

الذي كان يريده السيد ويدعو اليه، فالتف حوله الناس من محبي الاصلاح وطلاب العدل.
كلف الشاه السيد جمال الدين ان يسن ما يراه موافقا لروح العصر من القوانين، فشرع السيد يعمل بهمته المعهودة وصبره المألوف، فسن القانون الاساسي وجعل اساس الحكومة قائما على الحكم الملكي الشوري، فارتاحت النفوس واطمأنت الخواطر، وانتعشت الآمال، لما عسى ان يوفر القانون الاساسي الذي سنه السيد جمال الدين على الامة راحتها واطمئنانها، وينعش الحياة باطلاق الحريات من عقالها، ولكن مع الاسف خابت الآمال حينما اطلع الشاه على قواعد الدستور الكلية ورأى فيها تقييد حكمه، وان الامة ستكون اوسع سلطة بمجلسها النيابي، فعند ذاك استدعى اليه السيد وسأله:
(ايصح ان اكون ياحضرة السيد وانا ملك ملوك الفرس كأحد افراد الفلاحين)..
فأجابه السيد بقوله: اعلم ياحضرة الشاه ان تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك سيكون بالحكم الدستوري اعظم وانفذ واثبت مما هم الان..
والفلاح والعامل، والصانع في المملكة ياحضرة الشاه انفع من عظمتك، ومن امرائك واسمع لاخلاصي ان اوديه، صريحا قبل فوات وقته.
لاشك ياعظمة الشاه انك رأيت وقرأت، عن امة استطاعت ان تعيش بدون ان يكون على رأسها ملك، ولكن هل رأيت ملكا عاش بدون امة ورعية؟.
لاشك ان هذا الكلام قد ازعج الشاه واغاظه لما فيه من تهديد لمصالحه ومصالح طبقته واتباعه من ذوي السلطان ،فخاف العاقبة على سلطانه عرشه، وخاصة ما رآه من سريان نزعة الاستقلال بين الشعب وتلهفه في طلب الاصلاح وتحسين الاحوال، فما كان من الشاه الا ان انفذ من قبضوا على السيد وهو مريض وارسلوه خارج الحدود، الى العراق.
ان ذكرى السيد جمال الدين لاتفارق اذهان الاحرار من ابناء الشرق، وان لآرائه وافكاره صدى بعيدا واثرا عميقا في نفوسهم وقلوبهم.
ان السيد في نضاله لم يترك الماضي، ولم يقطع الصلة بين كفاحه وما تقدمه في تاريخنا القومي التحرري فلم يستنم على يهاء المجد، ولم يستسلم لعظمة السلطان، وانما راح الى الماضي يستلهم عبره ويستوحيه لمعالجة حاضره ويضع الخطط لبناء المستقبل.
ونحن في مرحلتنا الوطنية الحاضرة نريد ان يرتكز نضالنا الوطني وكفاحنا القومي على ما في ماضينا من كفاح ونضال، وان نجاح قضيتنا القومية يتطلب استلهام التاريخ واستيعاب عبره وتفهم نتائجه ومراميه، ودمجه بدراسة القضية القومية ضمن المشاكل العالمية على ضوء النظريات الصحيحة، مع تفقه القضية القومية والالمام بها في جميع المراحل التي مرت بها والتطورات التي شملتها وتحليل المجتمع الحاضر على اساس هذه التطورات في سيره وتقدمه.
ان بذور التحرر القومي التي بذرها السيد ورجال عهد الاصلاح في القرن الماضي من مفكرين اصلاحيين، كانت ولاشك بذورا طيبة، وانها قد تحولت اليوم الى دوحة متينة الجذور متشابكة الفروع، وان هذه الدوحة التي غرسها من سبقنا من مفكرين ومناضلين قد اينعت الى حد ما وحان قطاف ثمارها في بعض اقطار الشرق، وهي تحتاج الى جهود اوسع وتضحيات اكثر في الاقطار الاخرى، فيجب ان نتعهدها ونقدم لها ما تحتاجه من اتعاب وتضحيات ليتم ازدهارها وينمو غراسها فنجني ثمارها شهية طيبة ونستظل بظلالها تحت راية الحرية والخير والسلام.

الروح العلى

محمد مهدي الجواهري

القيت في تأبين الافغاني ١٩٤٥

هويت لنصرة الحق السهادا
فلولا الموت لم تطلق الرقادا

ولولا الموت لم تترك جهادا
فللت به الطغاة ولا جلادا

ولولا الموت لم تفرح فرادى
صعقتهم، ولم تحزن سوادا

ولولا الموت لم يذهب حريق
ببالغة وقد بلغت حصادا

وان كان الحداد يرد ميتا
وتبلغ منه تأكله مرادا

فان الشرق بين غد وامس
عليك بذله لبس الحدادا

ترفع ايها النجم المسجى
ورد في دارة الشرف اتقادا

ودر بالفكر في خلد الليالي
وجل في الكون رأيا مستعادا

وكن بالصمت ابلغ منك نطقا
واورى في محاججة زئادا

فان الموت اقصر قيد باع
بأن يغتال فكرا واعتقادا

جمال الدين ياروحا عليا
تنزل بالرسالة ثم عادا

تجشمت المهالك في عسوف
تجشمه سواك فما استفادا

طريق الخالدين فمن تحامى
مصائرهم تحاماه وحادا

كثير الرعب بالاشلاء غطت
مغاوره الجماجم والوهادا

جماجم رائدي شرف وحق
تهاووا في مجاهله ارتيادا

واشبح الضحايا في طواه
على السارين تحتشد احتشادا

وفوق طروسه خطت سطور
دم الاحراء كان لها مدادا

شققت فجاجه لم تخش نيها
ومذئبه وليلا وانفرادا

لانك حامل – مالا يوازي
بقوته- العقيدة والفؤادا

الشخصية الجبارة

من حسن الصدف ان يكون الكاتب المصري الكبير الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني ضيفا على العراق في بغداد يوم مرور رفات الافغاني، فساهم مع ادباء القطر بتكريم العبقرية الفذة، فاذاع مقاله هذا الممتع من دار اذاعة بغداد ونشرته جريدة الرأي العام الغراء بعددها الذي صدر خاصا بذكرى الافغاني. لم ادرك السيد جمال الدين الافغاني في حياته، ولكن الله اكرمني بأن يسر لي الوجود في بغداد يوم ممر رفاته بها الى مسقط رأسه في بلاد الافغان، وما له في الحقيقة موطن خاص فانه رجل الشرق كله، وابن الاسلام والعروبة اجمع، فلكل بلد عربي او اسلامي حق فيه لاينازع ولاينكر.

ابراهيم المازني

وليس من عادتي الاسف على ما يفوتني بالغا ما بلغ، ولكن ما عرض ذكر السيد جمال الدين الاّ ادركني الاسف وشاع في نفسي لان الزمن لم يتقدم بي بضع عشرات من السنين فاصل اسبابي باسباب هذا الرجل النادر، واقبس من روحه الساحرة التي انت كأنها مولد كهربائي ضخم يبعث الحرارة والقوة والحيوية في حيما حل، فما كان السيد جمال الدين اوحد اهل زمانه في العلم او الفلسفة او الذكاء وحدة الفؤاد، ولكنه كان على التحقيق، وبلا ادنى مراء، اوحد رجال عصره في قوة الشخصية وسحرها، وفي ايمانه بنفسه وبقدرته على ادراك ما يسعى له وتحقيق ما يدعو اليه، وتنزهه عن كل غاية شخصية او مأرب ذاتي، فما كان يسعى لمجد يفيده، او مال يصيبه، او حكم يتولاه، وما جنى هو من مساعيه الاّ الاخطار والتشريد، وانما كان همه ومنى نفسه جميعا ان يوقظ هذا الشرق من رقاده الطويل، وان يبتعث همته الدانية، وينشله من وهدة الجهالة التي اخمدت روحه، ويجمع كلمته، ويدفعه الى التماس القوة والعزة، ولا سبيل اليهما بغير الحرية والعلم.

ولم تكن دعوته مقصورة على العرب وان كان منهم فقد كان ابعد من ذلك مطارح همة، وكانت دعوته اسلامية عامة شاملة تنتظم البلدان والامم الاسلامية من حدود الصين الى شاطئ المحيط الاطلسي، ولم يكن هذا منه طموحا نظريا، او مجرد امل يحلم به فقد كان يجوب الارض ويركب البحر، ويزور بلاد العرب والاسلام واحدا واحدا، وما دخل بلدا الاّ ترك فيه حركة قوية، وكان له فيه اثر عظيم باق الى يومنا هذا، فاذا قلنا انه عظيم (يعي الزمان مكان نده) كما يقول البحتري لم نكن مبالغين.

وقد جاء الى مصر قبل الثورة العرابية بزمن غير وجيز، وكان هو الذي هيأ النفوس واعد الاذهان ولما تلاها الى يومنا الحاضر، ولم يكن وهو بمصر يقصر همه عليها بل كان معنيا كذلك بتركيا وايران والافغان والهند وغيرها – واذا قلت تركيا فاني اعني الدولة العثمانية كلها بما كان يدخل فيها من بلاد العرب قاطبة– وقد اتصل في مصر برجال الدين والسياسة، وبث فيهم روحه، وكان له حلقة يلقي فيها دروسه الدينية، ومبادئه السياسية الحرة التي سبق بها كتاب الغرب الاحرار، وقد تولى عن المصريين مطالبة الخديو اسماعيل باعلان نظام الحكم الدستوري، والنصح للخديو توفيق باقامة حكم البلاد على قواعد الدستور، ولا كمنحة بل كحق، ولم يعلن الدستور، في ايامه، بمصر ولكنه هو اقصى عن مصر.

ولما استقل السفينة، من مصر، جمع له لفيف من تلاميذه والمعجبين به مبلغا من المال يتسعين به وقدموه اليه، فابى ان يتقبله، وشكرهم وقال لهم كلمته المشهورة:

اني كالاسد لا ادم قوتا اينما كنت.

واشهر تلاميذه المصريين واعظمهم وارفعهم قدرا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، ومما يستحق الذكر لعظم دلالته على قوة شخصية السيد جمال الدين، ان الشيخ محمد عبده، كان يرى في الفترة التي سبقت الثورة العرابية، التدرج في الاصلاح حتى تنضج البلاد سياسيا لحكم نفسها بنفسها، وقد ادخل اصلاحات كثيرة في مصر في عهد وزارة رياض باشا الذي كان يثق به ويكله الى رايه، ثم قامت الحركة العرابية، وسارت باسرع مما كان ينتظر، وكان غرضها تحرير المصريين والتخلص من عناصر الترك والشراكسة المتحكمين المستولين على المناصب في الادارة والجيش.

ومضت الى غايتها في جو من الدسائس الاجنبية والاطماع الدولية، فخشى الشيخ محمد عبده العاقبة، وكان بعيد النظر سديد الرأي، فتوقع اذا لج العرابيون فيما هم فيه، ولم يتحرزوا او يتوخوا الاعتدال، ان ينتهي الامر باحتلال الانكليز لمصر، فكان لهذا يقاوم العرابيين مقاومة شديدة وينعي عليهم قصر نظرهم وقلة تبصرهم، ويبسط فيهم لسانه، حتى ضجوا وهددوه بالقتل اذا ظل يعترض طريقهم ويناوئهم، واراد بعض العرابيين من اصدقاء الامام ان يصلح ما بينه وبينهم، وانا اعرف هذه القصة لان الذي حاول اصلاح ذات البين من اقربائي، ولان بيت جدي كان هو مكان الاجتماع، وتكلم العرابيون، وتكلم دعاة التوفيق، ثم تكلم الاستاذ الشيخ محمد عبده، فاصر على رأيه ان العرابيين باندفاعهم سيجرون على البلاد الاحتلال الاجنبي، فاخفقت المساعي المبذولة للصلح والتوفيق، وكان ابي من رجال الازهر، وزملاء الشيخ محمد عبده في الدراسة وتلاميذ السيد جمال الدين، وان كان لم ينبغ كما نبغوا، فسأل الشيخ محمد عبده قائلا:

أكنت تلج هذه اللجاجة في عنادك مع العرابيين لو كان السيد جمال الدين في مصر؟.

فكان جواب الشيخ محمد عبده هذه الكلمة المترعة:

يامحمد (فقد كان ابي اسمه محمد) لو كان السيد جمال الدين هنا لما قامت الحركة العرابية ولا احتاج احد اليها، لان السيد يغني بشخصه عنه كل ذلك..

وتمثل ببيت من رثاء المتنبي:

كان من نفسه الكبيرة في جيش

وان خيل انه انسان

ولما استفلحت الحركة العرابية وضرب الاسطول الانكليزي الاسكندرية،/ انضم الشيخ محمد عبده الى العرابيين، ووضع يده في ايديهم، لان الواقعة قد وقعت، وكان ما خاف ان يكون، فلم يسعه الا ان يكون مع قومه – ولو كانوا مخطئين– على الغريب، وكان يتمثل ببيتي الحماسة:

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشد الاّ ضحى الغد

وهل انا الاّ من غزية ان غوت

غويت، وان ترشد غزية ارشد؟.

والواقع ان السيد جمال الدين كان كما وصفه تلميذه الاكبر الشيخ محمد عبده، من نفسه الكبيرة في جيش، وهو الذي يرجع اليه الفضل الاول في قيام الحركة الدستورية في تركيا ومصر وايران، وقد خشيه سلطان تركيا وشاه ايران وخديو مصر، ومما يذكر في هذا الباب ان شاه ايران شقى بما كان يقول فيه السيد جمال الدين، فوسط سلطان تركيا، فدعاه السلطان اليه وشفع عند الشاه، فقال السيد كلمته المشهورة: (عفوت عن الشاه) او قيل انه قال عفوت الشاه!.

ولم يكن السيد ذا مال، او دولة او جيش، او عصابة، وانما كان ذا روح عظيمة، وشخصية قوية، وسحر لاقبل لاحد بمقاومته، ولسان عال، وبيان خلال، وبهذه الشخصية الفذة استطاع ان يبث الثورة ويضرم نارها في كل بلد حل به، واقام فيه، ولو شهورا.

ولم تكن دعوته الى الفوضى بل الى الحرية والاصلاح والدستور ولم شمل العالم الاسلامي وتبويئه مكانة بين امم الارض، وكان ما قام في البلاد الاسلامية الى اليوم من حركات في سبيل الحرية والاستقلال والدستور، راجع في مرد امره اليه.

وعهدنا بالدنيا انها لاتجود بامثاله كل يوم ومن المصادفات الميمونة ان رفاته يمر بالعراق في الوقت الذي قويت فيه حركة الجامعة العربية، وزخر تيارها وآذنت بالثمرة المشتهاة، ولو كان السيد داريا لطاب نفسا بهذا، فما كان يقصد الى ادماج بلد في بلد، او افناء شخصية امة في امة اخرى، بل، كان همه ايقاظ هذه الامم عربية كانت او غير عربية، وابتعاثها من نومها، وانهاضها، وتوجيهها وجهة الخير والصلاح، وايتائها حقها في الحرية، وتزويدها بالعلم وتسليحها بالمعرفة.

رحمه الله، ونفعنا بذكراه فانه من القليلين الذين يؤثرون بعد ان محي ظلهم في سبيل من غير مثل تأثيرهم لما كانوا على قيد الحياة.

عن كتاب ذكرى الافغاني في بغداد
مطبعة الرشيد ١٩٤٥

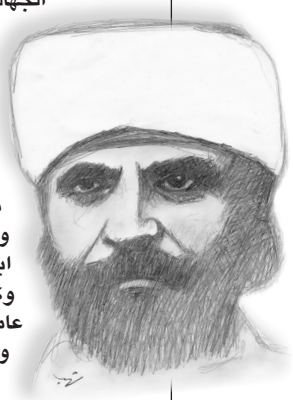

الافغاني والصحافة

محمد حسن الصوري

اذا كملت العبقرية الفذة في انسان، وثبتت راسخة خالدة تعددت انذاك نواحي العمل فيه، وبرزت للحياة صور جديدة من الافكار المثالية العالمية، وكونت في دنيا الانسان اثرا قويا للطموح نحو التقديم والسمو ورجاء قريبا من الحق والعدل.

والسيد الافغاني هو اروع مثال لهذه العبقرية الخالدة التي جاءت الى هذه الحياة فاحدثت فيها شيئا جديدا من حية في الفكر، ويقظة في الضمير، وتنبه في الشعور.

لقد وجد السيد الافغاني ان اقرب العوامل الفعالة في نشر افكاره وآرائه الحديثة، ان يركن الى الصحافة فحين ورد مصر في عهد اسماعيل باشا استطاع ان يثير روح الحماس والعمل في نفوس جماعة من الرجال الاذكياء فانشأ لذلك صحفا جريئة تعبر عن مبادئهم بصراحة كاملة فصحيفة (مصر) صدرت في القاهرة لاديب صحاف كانت لسان حال هؤلاء الناهضين وكان السيد الافغاني يسرف عليها، ويبعث فيها احساسا بليغا من القول الصارم، والاراء الحديثة الناضجة بتوقيع (مظهر بن وضاح) وفي الاسكندرية صحيفة (التجارة) كانت صوتا صارخا للعمل والاصلاح له ولتلامذته المصلحين كاللقاني والشيخ محمد عبده وامثالهما، ثم اعد جماعة اخرين لتوجيه جريدة (الوقائع المصرية) حسب البرنامج الذي اعدوه لنهضتهم السريعة الاصلاحية، وهناك صحيفة اخرى هزلية صبغها المصلح الافغاني باللون الذي اراده من التعرض بسياسة اسماعيل باشا، وكان يصدرها الكاتب الفكه (يعقوب مصوغ) باسم (ابو نضارة).

وهكذا استطاع السيد الافغاني ان يبعثها صرخة مدوية في ارجاء مصر فيحدث فيها روحا متوقدا للحماس الوطني الثائر، وللوثبة الجبارة السريعة، ولكن ولاة الامور حين رأوا ان الافغاني قد استفحل امره، وانه خلق في مصر امة تعرف كيف تحاسب فكان من نتيجة هذا ان اخرج من مصر وهو هادئ النفس، مطمئن الضمير، ذلك لانه استطاع ان يوجد تيقظا في الشعور بمقدرته الصحفية، واحاديثه التي كان لايخلو منها ناد او مجلس، حتى قال عنه تلميذه الشيخ محمد عبده (كان السيد جمال الدين يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها، ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من اهله، وكنت احسده على ذلك، لانني تؤثر في حالة المجلس للوقت فلا تتوجه نفسي للكلام الاّ اذا رأيت له محلا قابلا، واستعدادا ظاهرا.. وقال عنه سليم بك العنجوري، كان من ديدن جمال الدين ان يقطع بياض نهاره في داره حتى اذا جن الظلام خرج متوكئا على عصاه الى مقهى قرب الازبكية، وجلس في صدر فئة تتألف حوله على هيئة نصف دائرة، فيتسابقون الى القاء ادق المسائل عليه، وبسط اعوص الاحاجي لديه فيحل اشكالها فردا بلسان عربي مبين لا يتلعثم ولا يتردد بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلال، فيدهش السامعين، ويفحم السائلين، ويبكم المعترضين،..

ثم انه حين انتقل الى باريس بعد اقامته في لندن زمنا قليلا اصدر فيها صحيفة (العروة الوثقى) وكان يحررها الشيخ محمد عبده ويترجم لها ميرزا محمد باقر، صدر منها اثنا عشر عددا في اثني عشر شهرا تبدأ من تاريخ ١٥ جمادي الاولى سنة ١٣٠١ هـ (١٣ مارس سنة ١٨٨٤م) وكانت هذه الصحيفة يوزع اغلبها مجانا ذلك لان القائم بها جمعية سرية، لها عدة فروع في سائر العالم الشرقي، فهي لاتريد من ورائها الربح، وانما المهم عندها نشر المبادئ الصحيحة الواجب اتباعها والدفاع عن التهم الموجهة الى الشرقيين وبث روح الوحدة بين سائر الامم الاسلامية بل الشرقية على العموم.

اما الناحية الادبية في حياة الافغاني فنترك التحدث عنها الى الاستاذ احمد امين بك فقد قال في مجلة الثقافة: كان الادب عبد الارستقراطية، لا هم له الاّ مدح الملوك والامراء، والتغني بافعالهم وصفاتهم مهما كانوا ظلمة فجارا، فكل حاكم سيد الوجود في زمانه، آت بالمعجزات في اعماله، الفن والادب موسيقى لطربه وبهلوان تسليته، وعبيد مسخرة لنهش اعدائه، ومدح اوليائه، الاديب الصغير مداح للغني، والاديب الكبير مداح للامير الكبير فاتى جمال الدين فسخر الادب في خدمة الشعب، يطالب بحقوقه، ويدافع عن ظلمه ويهاجم من اعتدى عليه كائنا من كان، يبين للناس سوء حالهم، ومواضع بؤسهم، ويبصرهم بمن كان سبب فقرهم، ويحرضهم ان يخرجوا من الظلمات الى النور، وان لايخشوا بأس الحاكم، فليست قوته الاّ بهم، لاغناء الاّ منهم، وان يلحوا في طلب حقوقهم المغصوبة، وسعادتهم المسلوبة فخرج على الناس بأدب جديد، ينظر للشعب اكثر مما ينظر الى الحاكم، وينشد الحرية ويخلع العبودية ويفيض في حقوق الناس، وواجبات الحاكم، ويجعل من الاديب مشرفا على الامراء لا سائلا يمد يده للاغنياء، وهذه نغمة جديدة لم يعرفها المسلمون منذ عهد الاستبداد.

لقد وجد السيد الافغاني ان اقرب العوامل الفعالة في نشر افكاره وآرائه الحديثة، ان يركن الى الصحافة فحين ورد مصر في عهد اسماعيل باشا استطاع ان يثير روح الحماس والعمل.

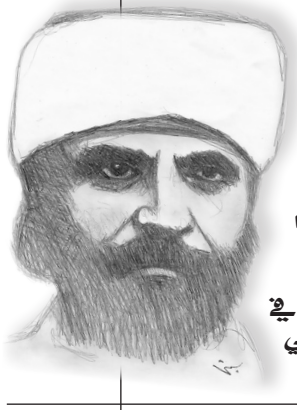

كلمة القيت في تأبي الافغاني

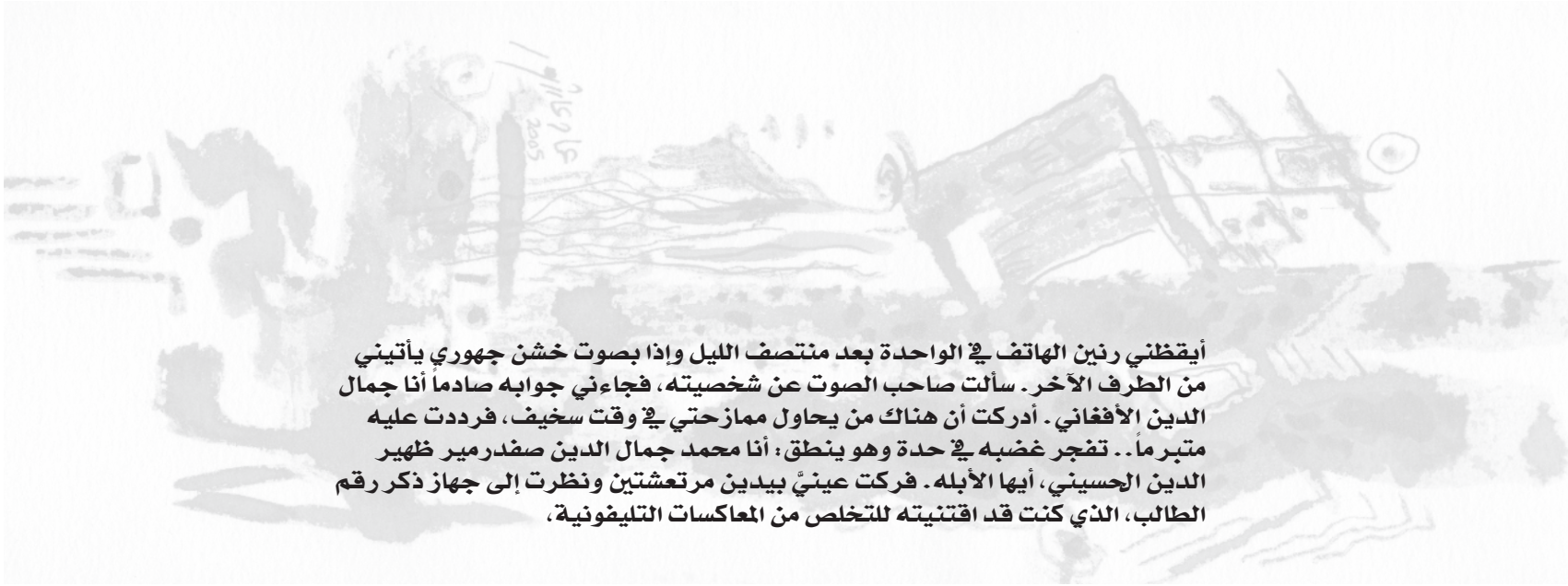

أيقظني رنين الهاتف في الواحدة بعد منتصف الليل وإذا بصوت خشن جهوري يأتيني من الطرف الآخر. سألت صاحب الصوت عن شخصيته، فجاءني جوابه صادماً أنا جمال الدين الأفغاني. أدركت أن هناك من يحاول ممازحتي في وقت سخيف، فرددت عليه متبرماً.. تفجر غضبه في حدة وهو ينطق: أنا محمد جمال الدين صفدرمير ظهير الدين الحسيني، أيها الأبله. فركت عينيَّ بيدين مرتعشتين ونظرت إلى جهاز ذكر رقم الطالب، الذي كنت قد اقتنيته للتخلص من المعاكسات التليفونية،

هكذا تكلم الافغاني

إيمان يحيى

فوجدته خالياً، لا يشير إلى رقم تليفوني. مجرد صفر كبير على شاشته. أدركت هيبة اللحظة التي أمسكت بتلابيبي فقلت للسيد جمال الدين: وما الذي دفعك إلى محادثتي أنا بالذات؟ رد عليّ قائلاً "مالكم تقلقون رقدتي وتدبجون المقالات عني بعد وفاتي بمئة وعشرة أعوام؟ هل أفلستم إلى هذا الحد؟" بدأت أستعيد وعيي فسألته أن يعطيني حديثاً صحافياً عن أحوالنا الجارية، فوافق مشكوراً، ولعل موافقته كانت بسبب احتفائه الدائم في حياته بالصحافة.

وها هو أول حديث صحافي مع الأفغاني بعد وفاته، تحقق فيه "الوقت" سبقاً صحافياً:

× فهمت منك أنكم في العالم الآخر تتابعون أحوالنا، فما هو رأيك فيما وصلت إليه أحوال العرب والمسلمين؟

– هذا موضوع كبير، اطرح سؤالاً محدداً ولا تعمم. يا ضيعة مهنة الصحافة في عهدكم، إذا كنتم تسألون تلك الأسئلة الغامضة.

× حدث ما حدث في العراق، والآن هناك حكومة في ظل الاحتلال. ما موقفكم منها؟

– "ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه، ملعون من يبيع أهل ملته بحطام يلتذ به، ملعون من يمكن الأجانب من دياره، محروم من شرف الملة الحنفية من يمهد الطريق لخفض كلمة مواطنيه، وإعلاء كلمة المستعمرين.

× لكنها حكومة منتخبة، جاءت من انتخابات تمت لاختيار مجلس نيابي؟

– "إن القوة النيابية لأي أمة كانت لا يمكن أن تحوز المعنى الحقيقي إلا إذا كانت من الأمة نفسها وأي مجلس نيابي يأمر بتشكيله أمير أو آمر أو قوة أجنبية محركة لها، فاعلموا أن حياة تلك القوة النيابية الموهومة موقوفة على إرادة من أحدثها.

× هل ذلك يعني أنك تؤيد الرئيس السابق صدام حسين أو "المستبد العادل"؟

– "هذا من قبيل الأضداد، كيف يجتمع العدل مع الاستبداد؟.

× إذاً، ما توصيفك للوضع الآن في العراق؟

– وضع كوضع الهند أيامنا طالبوا بإجلال الإنجليز محل "جنودهم" مع بعض الجنود الهنود. ووضعوا على كل عاصمة فرقة إنجليزية لحماية الحاكم، وأعطوها أسماء محلية.

× مولانا، والفتنة الضاربة في لبنان وفلسطين، ما رأيك فيها؟

– "شر أدواء الشرق داء انقسام أهليه، وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف، فقد اتفقوا على ألا يتفقوا، إياك أن تنهج نهج التعصب، فتهلك.

× ما رأيك في أوضاع أحزابنا السياسية وتيارات الأمة في هذه الأيام؟

– "الأحزاب الشرقية داء ودواء، إذ تتألف الأحزاب لطلب الحرية والاستقلال، وتبدأ والكل أصدقاء، ثم ينتهون والكل أعداء.. تفرح الأمة ببرنامج الحزب ووعوده في الآجل والعاجل فتؤازره وتطيعه. ثم بعد ذلك تظهر في رؤساء الأحزاب الأثرة والأنانية، وتفضيل حب الذات على مصلحة الأمة، فتنزوي الناس عنه وتنكمش النفوس منه وتترك الحزب أو تعاديه.

× الحديث الآن يدور عن الديمقراطية وضرورتها في عالمنا العربي، ظهرت بوادر قوى التغيير. ، لكن مشاركة الشعب مازالت محدودة وضعيفة، ما الأسباب؟

– "إنكم معاشر الشرقيين، قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم، وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل، وأنتم صابرون، بل وراضون.. هبوا من غفلتكم، اصحوا من سكرتكم، انفضوا عنكم الغباوة والخمول.. وشقوا صدور المستبدين بكم، كما تشقون أرضكم بمحاريثكم.. عيشوا، كباقي الأمم، أحرار سعداء، أو موتوا مأجورين شهداء

× حنانيك يا مولانا، ظلمت الشرقيين والعرب، أليس لحكامهم نصيب من غضبك؟

– "أمة تطعن حاكماً سراً وتعبده جهراً، لا تستحق الحياة".

× هل معنى ذلك أن شعوبنا لم تنضج بعد لممارسة الديمقراطية، حسب رأي بعض ساستنا؟

– "الشعب العربي كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل، فبالنظر الذي تنظرون به إلى الشعب المصري وأفراده ينظرون به على سموكم، وإن قبلتم نصح هذا المخلص، وأسرعتم في إشراك الأمة في حكم البلاد عن طريق الشورى، فتأمرون بإجراء انتخاب نواب عن الأمة تسن القوانين، وتنفذ باسمكم وإرادتكم، فيكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم".

× لكن حكامنا يا سيدنا لا يصيخون السمع لمواطنيهم؟

– تحتجب الحقائق عن الملوك بقدر تحجبهم.

× والعولمة.. ما حكمك فيها؟

– "لكل أمة طورها الحضاري، ولا يمكن انتحال طور أمة لأمة أخرى كما حدث للأفغان من تقليد الإنجليز، فأصبحوا أعواناً لهم وامتداداً. ولا يمكن النضال ضد الاستعمار بتقليد المستعمر على رغم مقولة ابن خلدون بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب إما بإحساس بالنقص أمامه أو لمحاربته بسلاحه.

× والمرأة.. يا سيدنا، خصوصاً وأن الحديث عن حقوقها زاد هذه الأيام؟

– "لا مانع من السفور إذا لم يتخذ مطية للفجور.

إلى هنا انتهى حديث أستاذنا ومولانا "الأفغاني"، الذي استأذنته في إكمال الحديث في مرة ثانية، إلا أنه أبى وأشار عليَّ بالتنقيب في آثاره وكتاباته. لكنه قد آثر أن يضفي من حنوه على محاوره فقال الصحافة عمل شريف، وأنا صحافي، وكان لي في باريس جريدة أكتب فيها . ياله من شرف للصحافة أن ينتسب لها الرجل.

في عام ١٩٢٦ اعلن الثري الامريكي جارلس كراين، العثور على قبر المصلح الكبير السيد جمال الدين الافغاني في احدى زوايا مقبرة المشايخ في اسطنبول، وكان قبرا بسيطا مهملا ضائعا بين القبور الكثيرة، فعمد الى ترميمه واقام عليه ضريحا فخما. وبدأت الدراسات والمقالات في مشارق الارض ومغاربها تحيي ذكراه وتعيد نشر اثاره وتبحث عن اخباره المتفرقة.
وفي خريف عام ١٩٤٤، قررت حكومة افغانستان نقل رفات الافغاني من اسطنبول الى وطنه وعبر الاراضي العراقية، وخصصت ارضا في مقدمة جامعة كابل لبناء قبر له.

كيف احتفل العراقيون بالافغاني عام ١٩٤٤؟

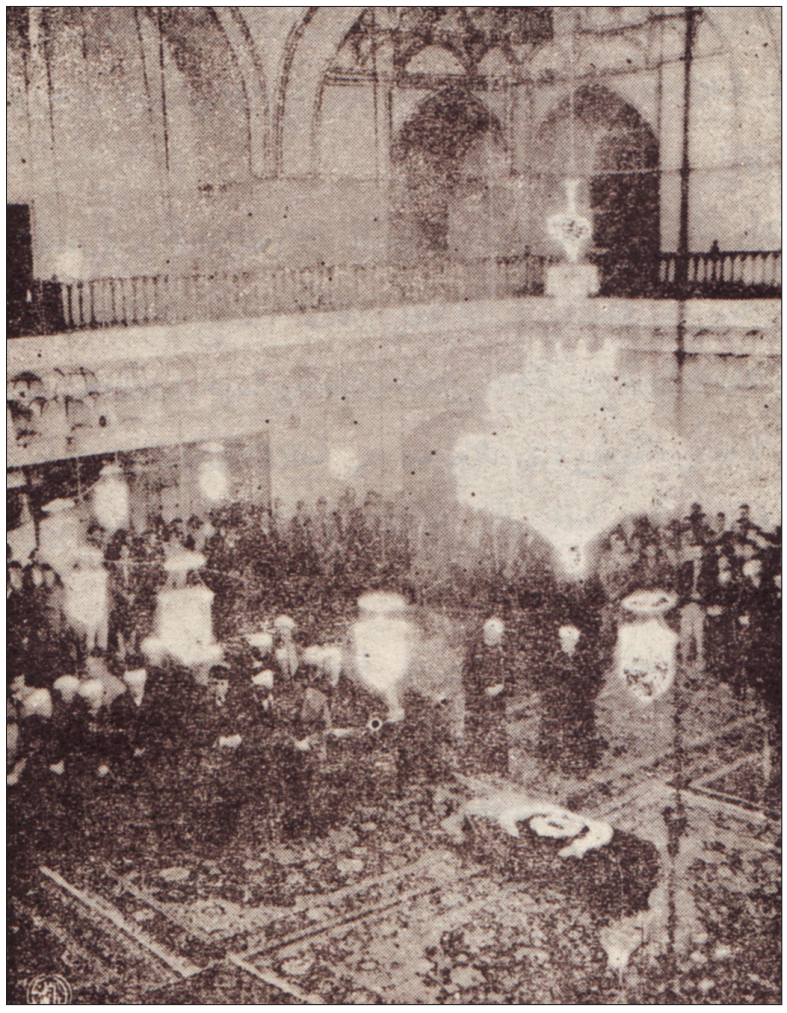

رفاة الافغاني في الحضرة القادرية

رفعة عبد الرزاق محمد

ومنذ ان اذيع خبر سماح الحكومة العراقية لرفات الافغاني بالمرور عبر العراق حتى اخذت الصحف تنشر المقالات التي تتغنى بمآثر المصلح الكبير، وتطالب ان تحتفي بمقدمه الجهات الثقافية والفكرية العراقية. وفي الاول من كانون الاول ١٩٤٤ نشر البيان التالي من وسائل الاعلام آنذاك.

"علمت الحكومة في بغداد بقرب مرور رفات المغفور له المصلح الكبير السيد محمد جمال الدين الافغاني من بغداد بقطار الشرق السريع بطريقه الى الافغان. وبالنظر لما لهذا المصلح الشرقي الخطير، فقد اوعزت الحكومة حالا بتأليف لجنة للاحتفاء بالرفات عند المرور عبر العراق. وهذه اسماء حضرات الاعضاء وسوف تعمل اللجنة برئاسة مدير الدعاية العام السيد احمد زكي الخياط ويمثل وزارة الداخلية والسيد باهر فائق مدير التشريفات بوزارة الخارجية والدكتور خالد الهاشمي مدير التعليم الثانوي والسيد فخري الدين الفخري رئيس مهندسي امانة العاصمة والسيد يوسف حنظل مدير الحركات في مديرية الشرطة العامة والسيد احمد القاضي مدير اوقاف بغداد.."

وفي العاشر من كانون الاول ١٩٤٤ وصل قطار الشرق السريع من تركيا الى محطة قطار الموصل وهو يحمل رفات الافغاني يرافقه السفير الافغاني في العراق السيد عبد الرحمن خان. وقد وصفت جريدة (فتى العراق) الموصلية احتفال الموصليين وقالت ان السيد خير الدين العمري رئيس بلدية الموصل كان على رأس المستقبلين ووضع اكليلا من الزهور على الصندوق الذي يضم رفات الافغاني والقى كلمة بليغة امام الحاضرين فأجابه السفير الافغاني بكلمة شكر.

واتجه القطار بعد هذا الاحتفال الى بغداد فوصلها في ساعة مبكرة من صباح ١١ كانون الاول ١٩٤٤ وكان في انتظاره جمهور غفير يتقدمهم اعضاء لجنة الاحتفال والجالية الافغانية ببغداد وعدد من العلماء وكبار الموظفين. ثم حمل الرفات على الاكتاف واودع سيارة خاصة نقلته الى الحضرة القادرية ووضع بجانب ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني. كتبت جريدة (الرأي العام): كان معشر الادباء والمثقفين منذ ان اذيع خبر مرور الرفات الكريم متلهفين لرؤية يوم الاحتفاء. وفي مساء يوم الاربعاء (١٤ كانون الاول ١٩٤٤) فوجيء الناس بخبر الاحتفاء وما ازفت الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي حتى كانت الجموع تتقاطر مهطعة الى المرقد القادري حيث وضع الرفات وحيث تقرر اقامة الحفل هناك.

ولعل الطبيعة التي عبست بوجه الافغاني منذ ان اشتد عوده حتى احتواه لجده، قد ابت الا ان تعبس بوجهه في هذا اليوم ايضا فقد كانت السماء غائمة وكانت الطرقات تفيض بما هطل من الامطار ثم شرع القوم يتواردون فاذا بالمرقد القادري يضيق بالقادمين ساحاته واروقته وابهاؤه، والشوارع والطرقات المؤدية اليه تزخر بالناس يتدافعون بالمناكب مشرئبة اعناقهم بغية التطلع الى النجم المسجى".

وذكرت صحيفة اخرى ان من الشخصيات التي كانت تحيط بالرفات قبل الحفل الرئيسي الشيخ قاسم القيسي ونقيب اشراف بغداد وقاضي بغداد ووزير الشؤون الاجتماعية محمد حسن كبة ووزير المعارف ابراهيم عاكف الالوسي ووزير المواصلات والاشغال عبد الامير الازري ووزير التموين يوسف غنيمة والسفير الافغاني عبد الرحمن خان والسفير السعودي والسفير المصري، ومدير الاوقاف العام رؤوف الكبيسي ومدير الخارجية العام فاضل الجاملي وامين العاصمة حسام الدين جمعة وغيرهم.

بدأ الاحتفال، وكان السيد طه الراوي، استاذ الادب الغربي في دار المعلمين العالية، اول المتحدثين فالقى كلمة على اثر الافغاني في ايقاظ الشرقيين من رقدتهم والنهوض بهم. ثم القى الدكتور خالد الهاشمي مدير التعليم الثانوي كلمته، وتلاه الشيخ جلال الحنفي كلمة علماء الدين. ثم القى الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري قصيدته الرائعة التي استعيدت مقاطعها عدة مرات، ومطلعها:

هويت لنصرة الحق سهادا
فلولا الموت لم تطق الرقادا

وقد انهاه بقوله:

جمال الدين كنت وكان عهد
سقيت لما صعدت له العبادا
نما واشتط واشتدت عراه
وزاد الصامدون له اشتدادا
فكم في الشرق من بلد جريح
تشكى لا الجروح بل الضمادا
تشكى بغي مقتاد بغيض
تأبى ان يطاوعه انقيادا

وبعدها. تقدم احمد زكي الخياط مدير الرعاية العام ورئيس لجنة الاحتفال والقى كلمته وقد اعلن فيها ان الافغاني التقى الشريف علي بن الحسين الذي استقدم ضيفا على السلطان العثماني للاقامة في اسطنبول وتحادثا كثيرا عن المسألة الشرقية وقضايا الخلافة والاستقلال والنهضة. وتلاه السيد عبد الرحمن خان وزير الافغان المفوض والقى كلمة قصيرة. واختتم الاحتفال بدعاء تلاه الشيخ جلال الدين الحنفي. واعلن في هذا الحفل ان مجلس امانة العاصمة قرر تسمية احد شوارع بغداد باسم الافغاني، وهو الشارع المبتدئ من ساحة عنتر والمنتهي بالسدة الشرقية والمحاذي للنادي الاولمبي (النادي الرياضي الملكي العراقي).

وبعد انتهاء الحفل رفع الرفات ووضع على سيارة مكشوفة وسارت يتبعها رتل طويل من سيارات المشيعين الى المطار المدني مخترقا شارع الملك غازي (الكفاح) ثم شارع الملك فيصل الثاني وجسر الملك فيصل الثاني (جسر الاحرار) فشارع الملك فيصل الاول فالمطار. وانتظر في صالة المطار حتى نقلته ثلة من الشرطة العراقية الى الطائرة المخصصة لنقله الى البصرة.

وفي البصرة تقرر تغيير واسطة نقل الرفات من العراق الى افغانستان فقد كان مقررا ان ينقل على باخرة متوجهة الى الهند، الا انه نقل في النهاية على متن الطائرة نفسها التي اقلته من بغداد. وصفت جريدة (الثغر) البصرية الاحتفال في عددها ليوم ١٧ كانون الاول فقالت:

"استقبلت البصرة عصر يوم الخميس الماضي رفات المصلح الاسلامي العظيم والمجاهد الكبير السيد محمد جمال الدين الافغاني بما يليق مقامه من التجلة والاحترام كما استقبلته عام ١٣٠٨ يعاني الام السقام الجسدي والنفساني مما يلاقيه في سبيل عقيدته ومبادئه الاصلاحية واستضافته بالرحب والسعة واحاطته بكل ضروب الحفاوة والتكرم، حتى ابل من مرضه رحمه الله وغادرها، كما غادرت رفاته صباح امس بالطائرة الى مسقط رأسه. وعندما هبطت الطائرة في ارض الميناء الجوي بالمعقل كان سعادة متصرف اللواء ووجوه المدينة واشرافها ومدير الشرطة ورئيس البلدية في الاستقبال، وكان معالي وزير الافغان المفوض يرافق الرفات مرحب به سعادة المتصرف واقام له وللحاشية مأدبة عشاء فاخرة في فندق شط العرب وأقيم حرس خاص يحرس الرفات حتى صباح امس الباكر حيث واصلت الطائرة سفرها الى الهند.."

وهكذا انتهى عهد الافغاني بالعراق بعد ان هبط في هذه الديار ثلاث مرات، كان اخرها رفاتا سنة ١٩٤٤، اما المرة الاولى التي قيل انها في سنة ١٨٤٩ فهي موضع شك ولا تصمد طويلا امام البحث ولم يشر اليها احد من المؤرخين المعاصرين للأفغاني فضلا عن عدم وجود ما يشير اليها في آثار الافغاني القلمية. اما زيارته المحققة للعراق فقد كانت سنة ١٨٩١ وقد تركت ذكريات وآثارا وهي حرية بالبحث والجمع.

علمت الحكومة في بغداد بقرب مرور رفات المغفور له المصلح الكبير السيد محمد جمال الدين الافغاني من بغداد بقطار الشرق السريع بطريقه الى الافغان

أنني كصقر محلق يرى فضاء هذا العالم
الفسيح ضيقاً لطيرانه
الافغاني

التحرير
علي حسين

التصميم
مصطفى محمد

الاشراف اللغوي
محمد السعدي